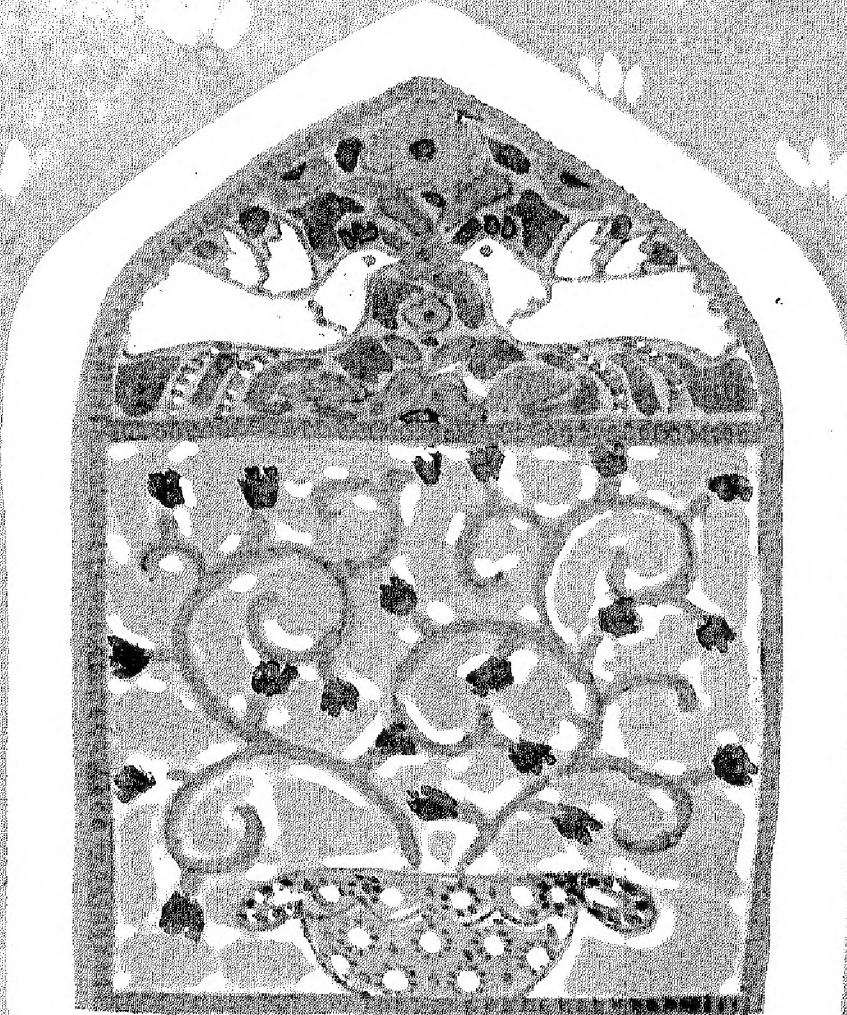


فستان فوق شوشة



على عشرين قصيدة
الحبيب الالهى

دار الشروق



0160220

Bibliotheca Alexandrina

الحبيب إلى عبيد الرحمن قصيدة
في الحب الإلهي

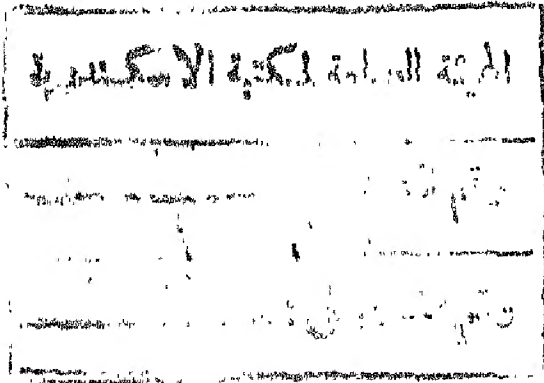
طبعة دار الشروق الأولى
١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

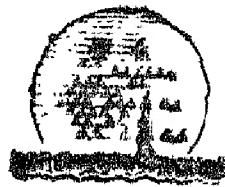
© دار الشروق

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني - هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٣٤٨١٤
بريضا : شروق - فاكس : 93091 SHROK UN
بيروت : ص ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣
بريضا : دشروق - فاكس : SHOROK 20175 LE

فستان فوق شوشستر



الحب إلى عشيقتي قصيدة في الحب الإلهي



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Cultural Development

دار الشروق

« لقد صار قلبي قابلاً كل صورة
فمرعى لغزلانٍ وديرٍ لرهبان
وبيتٍ لأوثانٍ ، وكعبة طائفٍ
وألواحُ توراةٍ ، ومصحف قرآنٍ
أدين بدين الحب أنى توجهت
ركائبه ، فالحب دينى وإيمانى »

ابن عربى

هذا الكتاب

هذه هي الحلقة الثانية في سلسلة المختارات التي تهدف إلى تقديم عيون الشعر العربى - قديمه وحديثه - من خلال التفافها حول إطار معين ينتظم هذه المختارات ، أو تجربة شعرية كبرى ، مع التوقف بالتحليل والتأمل عند أبرز من تناولوها في رحلة القصيدة العربية عبر العصور .

وإذا كانت الحلقة الأولى في هذه السلسلة توقفت عند تجربة الحب في الشعر العربى ، وحملت عنوان « أحلى عشرين قصيدة حب » في هذا الشعر ، فإن هذه الحلقة الثانية تتقدم إلى ساحة أسمى من ساحات هذا الحب هي ساحة الحب الإلهى ، حيث فاضت وجدانات العشاق الكبار من الشعراء بأنغام وترانيم وألحان تطهروا بها ، وحلقوا من خلالها ، دُنُوًّا واستشراقًا من الأفق الأعلى والأسمى ، حيث ينابيع الروحانية ، والفيض الغامر ، وحيث تمتلئ النفوس بأقباس من النورانية وتفيض العيون بدموع الندم والخشية والتوبة ، وتعمر القلوب بوشائج المحبة الدائمة ، ومقامات العشق وأحواله ، وينسكب هذا كله في النهاية شعرًا يفيض بالصدق ويعمر باليقين والمحبة والإيمان .

لكن الأمر في هذه المختارات المتصلة بالحب الإلهى لم يكن بالهين أو اليسير .

فعلى الرغم من امتلاء صفحات كثيرة من تراثنا العربى بنماذج هذا الحب ، إلا أن اختلاطها واضطرابها وتداخلها ، وتفاوت مستوياتها بين أصالة وتقليد ، وشاعرية وصنعة ، وصدق وتكلف ، يجعل مهمة الاختيار والتصنيف شاقة وعسيرة ، فضلاً عن عدم ملاءمة الكثير منها ، وهى أمور اقتضت بذل المزيد من الجهد ، واستغراق الكثير من الوقت .

ولسنا نزعم أن هذه القصائد العشرين هى أفضل ما فى تراث الحب الإلهى - قديمه وحديثه - من نماذج ، ولا أن أصحابها من الشعراء هم وحدهم أفضل الشعراء وأحقهم بأن نتوقف عندهم ، فكما قلت فى تقديمى « لأحلى عشرين قصيدة حب فى الشعر العربى » : إن الأساس الأول فى الاختيار هو ذوق شخصى ، وقد يخطئ هذا الذوق وقد يصيب ، لكن ارتباطى الوجدانى ببعض هذه القصائد من خلال مواقف وتجارب معينة ، وعلى مدار العمر ، جعلها أقرب إلى نفسى وأسبق إلى الاختيار من سواها .

كذلك فإن حرصى على تغطية مساحة طويلة من الزمان تنتظم شعر الحب الإلهى - من بدئه كظاهرة فنية ملموسة حتى يومنا هذا جعلنى - كما قلت من قبل - لا أطيل التوقف عند ممثلى كل عصر من بين أعلامه وأصواته الكبرى بقدر إسراعى إلى انتزاع القصيدة النموذج فى دلالتها وموضعها من السياق .

ولاشك أن وضع هذه المختارات في سلك منظوم يحمل انتظامه معنى ، ويعطى تتابعه واطراده دلالة ، ويؤدى بسياق اكتماله إلى فكرة واضحة هى الكشف عن تجربة التعبير عن الحب الإلهى فى شعرنا العربى ، وحقيقة موقف الشعراء العشاق من هذه التجربة والمدارات التى حلّقوا فيها وسمّوا إليها ، وألوان الصور الشعرية التى أبدعوها والأنغام الموسيقية التى عزفوها والأبنية الفنية التى أقاموها - لاشك أن هذا الهدف يستحق عناء البحث والتنقيب والتحقيق والاختيار .

ولقد ظلت هذه النماذج وغيرها من تراث الحب الإلهى مختلطة مع غيرها من قصائد المدائح النبوية والابتهالات والأدعية والمنظومات والأذكار الدينية ، ولعل هذه هى المحاولة الأولى لاستخلاصها ، وتجريد بعضها مما لحق به من تحريفات أو علق به من تجاوزات ، حتى تكون هناك مختارات قادمة ، تركز على شعر المدائح النبوية باعتبارها فناً مستقلاً ، له خصائصه وسماته وله أعلامه من الشعراء قدامى ومعاصرين ، وله مساحته الواسعة من الدوران فى ديوان الشعر العربى منذ أقدم العصور حتى اليوم .

والأمل معقود أن تلقى هذه المختارات من شعر الحب الإلهى ما لقيته سابقتها لدى القراء من ذىوع وانتشار ، بعد أن أدى الإقبال عليها إلى صدور الطبعة السادسة منها فى سنوات معدودة ، وأن يستجيب شعراؤنا ودارسوننا للدعوة التى حملتها المختارات السابقة : أن يسهموا ويشاركوا فى هذا الميدان ، كل على حسب طاقته واستطاعته واهتماماته ، فتعدد مجالات الاختيار ، من خلال أذواق عدة ، من شأنه

أن يؤدي في النهاية إلى تكوّن الذوق الصحيح المدرب الذى يجيد الانتقاء والرؤية النافذة ، وينجح في تقديم قراءة عصرية جديدة لكل ما يحمله التراث من كنوز ، بعد أن ينفض عنها غبار الإهمال والنسيان ، ويعيد إليها ماء الجدّة والحياة .

فإذا ما نجحت هذه المختارات في تقريب المسافة بين القارئ المعاصر وتراث أمته الشعرى - قديمه وحديثه - وفتحت باباً ولويسيراً لتذوق عصرية ، ترفده حساسية جديدة ، ووعى جديد ، فإنها تكون قد شارفت الغاية ، وأشارت إلى الطريق .

الرحلة في بحار العشق

هى رحلة حب من طراز نادر وفريد .

نتقدم من خلالها إلى ساحة عامرة وضيئة ، تغتنى بالعديد من الأنغام والألحان التى أبدعها هؤلاء الشعراء الذين تغنوا بالحب الإلهى — عشقًا وهيامًا وفناءً وذوبانًا — بعد أن سموا بإدراكهم وتذوقهم للجمال والحب إلى ما فوق رغبات الحس ودواعى المتعة ونفذوا إلى أبعد آماذ معانيه وصوره وتهويماته ، واستطاع هؤلاء الشعراء — الذين امتلأت قلوبهم ووجداناتهم بأقباس الحب الإلهى — أن يبدعوا عالمًا شعريًا له مفرداته ورموزه وإحياءاته ، وله معجمه الخاص الذى لا بد من الإحاطة به لمن يحاول الاقتراب من حدود عالمهم الشعرى ، خشية أن يزل أو يضل ، فالجمال بالنسبة إليهم وسيلة لسمو الروح واهتدائها إلى المعانى الخيرة المطلقة والمبادئ السامية . كما أن آيات الابداع التى تتجلى فى المخلوقات هى سبيل لتحقيق النشوة الروحية التى يعرج بها كل امرئ نقى السريرة إلى الله . فالجمال الإلهى يتجلى فى الطبيعة من خلال الموجودات والكواكب

والنجوم ، كما يتجلى في الناس . والكون كله يشترك في عبادة ذى
الجمال المطلق المنزه عن التشبيه ، ويهيم بهذا الجمال في نشوة مقدسة ،
وهذا الحب الإلهى يغمر الكون ، ولولاه ما انتظم الكون . ومن هنا
يمكن أن نفهم تجليات هذا الحب وأسراره وإيماءاته وومضاته ونحن
نتابع رحلة هؤلاء الشعراء في هيامهم بالجمال الإلهى تتردد على
شفاههم أسماء محبوباتهم من البشر ، وهى في حقيقتها رموز الجمال
الأسمى ، فليلى وسعاد ونُعم - وغيرها من الأسماء في أشعارهم - هى
الحبيب الأعظم ، وهى سبيلهم إلى الهداية الروحية ، يتجاوزون الجمال
الجسمى المحدد إلى الانتشاء بالفيض الإلهى ، لجمالٍ يجل عن الوصف
ويتقدس عن الكيف .

وقد عبر محيى الدين بن عربى - أحد هؤلاء العشاق الكبار من
الصوفية - في مقدمة ديوانه : ترجمان الأشواق ، عن حقيقة إدراك
هؤلاء الشعراء للجمال الإلهى ، منبهاً إلى أن أشعارهم لها ظاهر
وباطن، فظاهرها غزل يمكن أن ينطبق على الغزل الحسى ، ولكن
باطنها الهداية إلى أسرار الهيام بالمعارف الإلهية والواردات الباطنة
والأسرار الجمالية العليا .^(١)

يقول ابن عربى :

« لما نزلت بمكة سنة خمسمائة وثمانى وتسعين ، ألفيت جماعة من
الفضلاء ، ولم أر فيهم مع فضلهم مثل أبى شجاع بن رستم

(١) ليل والمجنون أو الحب الصوفى ترجمة وتقديم الدكتور محمد غنيمى هلال .

الأصفهاني ، وكان لهذا الشيخ بنت تقييد النظر وتزوين المحاضر ، علمها عملها ، عليها مسحة مَلَك وهمة مَلِك ، فقلدناها من نظمنا في هذا الكتاب أحسن القلائد ، فكل اسم أذكره في هذا الجزء فعنها أكنى ، ولم أزل فيما نظمته في هذا الجزء على الإيماء إلى الواردات الإلهية ، والتنزلات الروحية والمناسبات العلوية ، جرياً على طريقتنا المثلى ، والله يعصم قارئ هذا الديوان من سبق خاطره إلى ما لا يليق بالنفوس الأبية والهمم العلية المتعلقة بالأمور السماوية .

فإذا حاولنا أن نتأمل حقيقة هذا الحب الإلهي ومعناه ، ذلك الذي هام فيه الصوفية ، وفنوا وتفانوا ، معبرين عن خوالجهم وعن شطحاتهم ، في نثرهم وشعرهم ، وأدعيتهم وابتهالاتهم ، وشروحهم وتعليقاتهم ومنظوماتهم ، وجدناه وقد تمثل في صورته الأولى من خلال التعبير القرآني المحكم ومؤثر كلم الرسول الكريم .

جاء هذا المعنى في القرآن الكريم « يحبهم ويحبونه » في قوله تعالى : ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴾ . [سورة المائدة : الآية ٥٤] وفي قوله تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾ .

[سورة آل عمران : الآية ٣١]

وقوله تعالى : ﴿ والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ .

[سورة البقرة : الآية ١٦٥]

ويروى عن الرسول الكريم : اللهم إني أسألك حبك ، وحب من
يحبك والعمل الذى يبلغنى حبك ، اللهم اجعل حبك أحب إلى من نفسى
وأهلى ومن الماء البارد .

ومن ماثور قول الرسول الكريم :

« من أحب الله فليحبنى ، ومن أحبنى فليحب أصحابى ومن أحب
أصحابى فليحب القرآن ، ومن أحب القرآن فليحب المساجد فإنها أبنية
أذن الله تعالى برفعها وتطهيرها وبارك فيها ، فهى ميمونة ميمون
أهلها، فهم فى صلاتهم والله تعالى فى حوائجهم ، وهم فى مساجدهم والله
تعالى فى نجح مقاصدهم » .

وفى القرن الثانى الهجرى تتأكد فكرة حب الله من خلال شخصية
التفت حولها القلوب والعقول ، هى شخصية رابعة العدوية التى
ظهرت فى البصرة داعية بدعوة جديدة هى دعوة التقرب إلى الله عن
طريق حبه ، وهى تنادى بهذا الحب لأنها ترى أن الله أهل لأن يحب
أولاً لأنه مصدر النعم التى لا تنقطع ، فلا سبيل لأن ينقضى حب
المنعم بها على العباد ، وهو أهل لأن يحب ثانياً لجماله وجلاله .
تقول رابعة :

أحبك حبين : حب الهوى

وحباً لأنك أهلٌ لذاكا

فأما الذى هو حبّ الهوى

فشغلى بذكرك عمن سواكا

وأما النذى أنست أهل له
فكشفتك لى الحجب حتى أراكا
فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى
ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا
وفى موضع آخر من شعرها تقول :
ياسرورى ومنيتى وعمادى
وأنيسى وعُدَّتى ومرادى
أنت روح الفؤاد ، أنت رجائى
أنت لى مؤنسى وشوقك زادى
أنت لولاك يا حياتى وأنسى
ما تشتتُ فى فسيح البلادِ
كم بدت منة وكم لك عندى
من عطاءٍ ونعمة وأيادى
حبك الآن بُغيتى ونعيمى
وجلاء لعين قلبى الصادى
ليس لى عنك ما حييت براحُ
أنت منى ممكن فى الفؤادِ
ويبدو أن نفاذ شخصية رابعة فى القلوب ، ودوران شعرها على

الأسنة والأسماع ، هو الذى أغرى كثيرين بالنظر إليه متابعةً

واستلهاما ، يقول واحد منهم يعزف على وتر رابعة:

لما علمت بأن قلبى فارغ

ممن سواك ، ملأته بهواكا

وملأت كل منك ، حتى لم أدع

منى مكانا خاليا لسواكا

فالقلب فيه هيامه وغرامه

والنطق لا ينفك عن ذكراكا

والطرف حيث أجيله متلفتا

فى كل شىء يجتلى معناكا

والسمع لا يصغى إلى متكلم

إلا إذا ما حَدَّثُوا بحلاكا

بل إنه ينظر من قريب أيضا إلى أبيات ابن الفارض المشهورة :

لك قرب منى ، ببعده عنى .

وحنو وجدته فى جفاكا

علم الشوق مقلتى سهر الليل

فصارت من غير نوم تراكا

حبذا ليلة بها صدتُ إسراك

وكان السهاد لى أشراكا

بات بدر التمام طيف محياك

لطرفى بيقظتى إذ حكاكا

فتراءيت في سواك لعين

بك قررت وما رأيت سواكا

وهي أبيات تدور حول فكرة استحضر صورة المحبوب وتفنن هؤلاء الشعراء العشاق في الإتيان بالصور المبتكرة والمعاني الطريفة ، وهو مجال كان لابن الفارض فضل السبق فيه ، من خلال قدرته الفذة على اصطياد عشرات الصور التي يتمثل فيها جمال صورة المحبوب ، وتتجلى روعتها وتفرداها وتمايزها ، أليس هو القائل :

تراه إن غاب عني كل جارحة

في كل معنى لطيفٍ رائقٍ بهيج

في نغمة العود والنأي الرخيم ، إذا

تألَّفَا بين أَلحانٍ من الهزج

وفي مسارح غزلان الخمائل في

برد الأصائل والإصباح في البلج

وفي مساقط أنباء الغمام على

بساط نور من الأزهار مُنتسج

وفي مساحب أذيال النسيم إذا

أهدى إلى سَحِيرٍ أطيّب الأرج

وفي التثامى ثغر الكأس مرتشفاً

ريق المدامة في مستنزه فرج

لم أدْرِ ما غربّة الأوطان وهو معي

وخاطري أين كنّا غير منزعج

ويبدو أن هذا اللون من الحب لم يكن من السهل ولوج عالمه والارتفاع إلى مستوى معاينته وتمثله ، إلا بعد ابتلاء طويل وتجارب قاسية يتعرض فيها المتصوف في البداية إلى معاناة الحب الإنساني حتى تحتدم به عاطفته ، فيكون التحول إلى حبٍ أسمى هو حب الله .

قال بعض المريدين لأستاذه : قد طولعت بشيء من المحبة .

فقال : يا بنى : هل ابتلاك بمحبيب سواه فأثرت عليه إياه ؟

فقال : لا ، فقال : فلا تطمع في المحبة فإنه لا يعطيها عبدًا حتى يبلوه . وشبيه بهذا ما قيل لبعض الصوفية وكان قد بذل المجهود من ماله ونفسه حتى لم يبق منها بقية : ما كان حالك من هذه المحبة ؟ فقال : كلمة سمعتها من خلق لخلق عملت بى هذا البلاء . قيل : وما هى ؟ قال : سمعت محبوبًا قد خلا بمحبوبه وهو يقول : أنا والله أحبك ، أملكك ما أملك ، ثم أنفق عليك روحى حتى تهلك ، فقلت : هذا خلق لخلق وعبد لعبد ، فكيف بخلق لخالق وعبد لمعبود ، فكان لذلك سببه^(١) ثم يجىء ذو النون المصرى — فى القرن الثالث الهجرى — ليضيف إلى هذا البعد من أبعاد الحب الإلهى عند المتصوفة ملمح الأنس ، الأنس بالله ، أى العمل له خالصًا ، مع فرح القلب بالمحبيب « أى الله » ولو كان ذلك عن طريق النظر إلى بعض خلقه اتعاضًا واعتبارًا دون السكن إليهم .

يقول ذو النون حين سئل عن الأنس : أن تأنس بكل وجه صبيح

(١) « أبو طالب المكي » : قوت القلوب ج ٢ .

وكل صوت فصيح ، والله تبارك وتعالى فيما بينك وبين ذلك .
ثم نطالع عند إخوان الصفاء - في القرن الرابع الهجري - إدراكًا أعمق
وأشمل لفكرة الحب الإلهي باعتباره الحب الحق والعشق الخالد الذي
تسمو إليه النفس الناطقة عند بلوغها أقصى ما تسمو إليه من الكمال
فإنه هو المعشوق الأول المنزه عن الشبيه (١) ولا يستلزم حب الله
والهيام به تجسيمًا في رأيهم ، لأن الله يجل عن الشبيه والصورة ، لكن
رؤية أولياء الله تعالى له هي رؤية نور بنور لنور في نور ، كما جاء في
قوله تعالى : ﴿ الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها
مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من
شجرة مباركة زيتونة ، لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضيء ولو لم
تمسه نار ، نور على نور ﴾ .

[سورة النور : الآية ٣٥]

وهكذا يمضي إخوان الصفاء في هذا الطريق ، طريق اتخاذ الحب
طريقًا إلى الله ، والهيام به لجماله وجلاله ، وإدراك أن هذا الجمال كان
الباعث على خلق الكون (٢) ، والفلك إنما يدور شوقًا إليه ومحبة للبقاء
والدوام المديد على أتم الحالات وأكمل الغايات وأفضل النهايات .
وهكذا تكتمل صورة هذا الحب الإلهي ، من خلال أبرز أعلامه ،
واتجاهاتهم وأفكارهم ، فهو ليس تعلقًا بالأجساد وصور المادة ، بل

(١) رسائل إخوان الصفاء ج ٢ .

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين : ابن قيم الجوزية .

هو حب للمعاني العقلية والكاملة وتعلق بالمثل وهيام بمصدر الكمال والجمال ، ومن هنا فالحب عند الصوفية طريق إلى الزهد في متع الدنيا جميعاً وحرب على النفس وسبيل إلى العزوف عن مغرياتها .

والصوفية يحفلون بجمال الروح قبل جمال الجسم ، ولا فرق عندهم بين حب من صفت روحه من حسان الخلق وحب شيخ الطريقة الكهل الأشيب لأنه جميل الروح (١) . وشرط الوصول إلى الحق عن طريق الحب أن يكون المحب جميل الروح ، وأن يهتم بمخلوق جميل الروح ولو لم يكن جميل الجسم ، إن جمال الروح هو الذى يفتح أمام المحب الطريق للتأمل والفكر اللذين هما السبيل للوصول إلى الغاية من الحب عند الصوفية . فجمال الخلق يمكن أن يتخذ سبيلاً لمعرفة الحق ، والحب هو الطريق لمعرفة الحقيقة . يقول عبد الرحمن الجامى الشاعر الفارسى المتصوف - فى قصة يوسف وزليخا (ترجمة الدكتور محمد غنيمى هلال) :

« القلب الخالى من ألم العشق ليس بقلب ، والجسم الخالى من ألم العشق ليس إلا ماءً وطيناً ، فأشح بوجهك عن العالم ولا تفكر إلا فى العشق ، فدوران الفلك إنما هو من أجل العشق فكُن أسير العشق لتصير حرّاً ، وقاس من أحزانه فى صدرك لتحظى بالسُرور ، ولا تشح بوجهك عن العشق ولو كان العشق المجازى لأنه الطريق إلى العشق الحقيقى ، وكيف تتيسر لك قراءة القرآن إذا لم تكن قد طالعت أولاً

(١) الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية للدكتور محمد غنيمى هلال .

الحروف الأبجدية في اللوح ؟ سمعت أن مر يدًا طلب من شيخه العون في إرشاده فقال له الشيخ : إذا لم تكن قد نقلت الخطو في طريق العشق فاذهب وأحبّ ثم عد إلينا ، إذا بدون كأس خمرة الصورة لن يستطيع امرؤ تذوق جرع المعنى ، ولكن لا تمكث طويلاً أمام الصورة واعبر سريعاً ذلك الجسر إذا أردت أن تسرع بوضع رحلك في منزل الوصول».

ويروى الجامى في قصته « يوسف وزليخا » حكاية الفتاة المصرية الجميلة المسماة « بازعة » وقد أحبت « يوسف » من قبل أن تراه لما سمعته من وصفه ، فلما رأته وقعت مغشياً عليها لما بهرها من جماله ثم أفاقت فأخذت تسأله : « يا من بك يستقيم أمر كل ذى حسن ، من ذا الذى زينك بمفاتن الجمال ؟ من ذا الذى جعل شمس جبينك تتألق ؟ وأى مصورٍ أبدع قلمه فى نفسك ؟ وأى بستانى تعهد شجرة سرك وأى فرجار رسم قوس حواجبك ؟ ومن ذا الذى جعد هكذا ذوائبك ؟ ومن أين لوردتك النضرة ذلك الماء الذى به رويت ؟ » .

فأجابها يوسف : « أنا صنعة صانعى ، وقطرة من بحره كافية لخلقى ، وما الفلك إلا نقطة من كماله ، وما العالم إلا برعمة من حديقة جماله ، وقد أشرقت الشمس بنور حكمته ، وما السموات إلا حجاب من بحر قدرته ، وجماله منزّه عن تهمة العيب ، مستتر فى حجاب الغيب ، وقد جعل من ذرات العالم مرايا انعكس وجهه فى كل منها ، فكل ما يبدو جميلاً فى عيون المفكر النافذ البصيرة ليس إلا انعكاساً لوجهه ، فحين ترين هذا الانعكاس عجلّى بالاتجاه صوب الأصل الذى لا يبقى

بالإضافة إليه إشراق لذلك الانعكاس ، وإذا بقيت بعيدة عن أصل ذلك الجمال - وحاشا أن تبقى - فلا يلبث أن يفنى الجمال الذى تعلقت به فتظلين فى الظلمات ، فالجمال فى الخلق انعكاس عابر لا يطول بقاءه كنضارة الورد فإذا أردت الخلود فتوجهي إلى أصل الأشياء كلها .

وعندما علمت الفتاة الحكيمة بهذه الأسرار من فم يوسف ، طوت بساط حبها له ، وقالت له : « قد كدت أسقط إعياء عندما رأيت وجهك ، وكنت أود أسلم الروح فوق قدميك ، ولكن حين ثقت جواهر الأسرار وتحدثت عن سمات منبع الأنوار ، جعلتنى بلطف قولك الحق أدير وجهي عن حبك ، قد رفعت الحجاب عن وجه المثال الذى إليه تطلعت ، والآن وقد تفتح قلبي لهذا السر ، وتطلعت أنظاري إلى العشق الحقيقى عن طريق عشقك المجازى ، فخير لى أن أنصرف عن المجاز إلى الحقيقة . ثم شكرت يوسف وانصرفت ، وأسست لها مقامًا للعبادة على ساحل النيل حيث ترهبت وزهدت فى خير الدنيا .

ويعرف بعض هؤلاء العشاق من المتصوفة المحبة بأنها الميل الدائم بالقلب الهائم ، وإيثار المحبوب على جميع المصحوب ، وموافقة الحبيب فى المشهد والمغيب ومحو المحب بصفاته وإثبات المحبوب بذاته ، ومواطأة القلب لمرادات الرب ، وترك الحرمة مع إقامة الخدمة .

يقول أبو يزيد البسطامى : المحبة استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك .

ويقول سهل بن عبد الله التستري :

إن العباد عبدوا الله على ثلاثة وجوه : على الخوف والرجاء والقرب

ولكل علامة يعرف بها وشهادة تشهد له بما له وعليه . فعلامه الخائف الاشتغال بالتخلص مما يخاف فلا يزال خائفًا حتى يتخلص ، فإذا تخلص مما يخاف ، اطمأن وسكن ، فهذه علامة الخائفين . وأما الراجي فإنه رجا الجنة وطلب نعيمها وملكها فأعطى القليل وطلب الكثير، فبذل نفسه وخاف أن يسبقه أحد فجذ في البذل وتحرز من الدنيا ألا يقف غدا في الحساب فيسبق .

وأما العارف الذي طلب معرفة الله وقربه ، فإنه بذل ماله فأخرجه ، ثم روحه فأباحه ، فلو لم تكن جنة ولا نار لما زال ولا فتر ، فهذه علامة العارف .

فانظروا أيها العقلاء : من أي القوم أنتم ؟ أموتى لا حياة فيكم ، أم لا موتى ولا أحياء ؟ أم أحياء حيوا حياة الخلد ؟ ويحك : إن الخائف حيٌّ بحياة واحدة ، والراجي حياتان ، وللعارف ثلاث حيوات ، وهى الحياة التى لا موت فيها .

فحياة الخائف إذا أمن النار فقد حياى بحياة ثم يتم بحياة ثانية ، ويدخل الجنة بغير حساب ، والراجي أمن من العذاب ومن الحساب فمر إلى الجنة مع السابقين بغير حساب ، فصار له أمانان ، وأما العارف فصار له أمانان من النار ، والأمان الثالث صار إلى الرحمن . ويقول سهل أيضًا :

الحب معانقة الطاعة ، ومباينة المخالفة .

وسئل الجنيد عن المحبة فقال : دخول صفات المحبوب على البذل من صفات المحب .

ويقول أبو عبد الله القرشى : حقيقة المحبة أن تهب كلَّك لمن أحببت
فلا يبقى لك منك شيء .
ويقول الشبلى : سُميت المحبة محبة لأنها تمحو من القلب ما سوى
المحبيب .

ويقول ابن عطاء : المحبة إقامة العتاب على الدوام .
ويقول أبو على الدقاق : المحبة لذة ومواضع الحقيقة دهش .
ويقول أيضاً : العشق مجاوزة الحد في المحبة .
ويقول الشبلى : المحبة أن تغار على المحبوب أن يحبه مثلك .
ويقول ابن عطاء : المحبة أغصان تغرس في القلب فتثمر على قدر
العقول .

ويقول سحنون : ذهب المحبون لله تعالى بشرف الدنيا والآخرة لأن
النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : يحشر المرء مع من أحب .
ويقول النضر اباضى : المحبة مجانبة السلو على كل حال .
وأنشد قائلاً :

ومن كان في طول الهوى ذاق لذة
فإنى من ليلى لها غير ذائق
وأكثر شيء نلت من وصالها
أمانى لم تصدق كلمحة بارق
وأنشد ابن عطاء :

غرس لأهل الحب غصناً من الهوى
ولم يك يدري ما الهوى أحد قبلى

فأورق أغصاناً وأتبع صبوةً
وأعقب لى مرّاً من الثمر المحلى
وكلّ جميع العاشقين هواهم
إذا نسبوه كان من ذلك الأصل
ويفسر أبو على الدقاق قول الرسول الكريم : « حبك الشيء يعمى
ويصم » قال : يعمى عن الغير غيرةً وعن المحبوب هيبة .
ثم أنشد :

إذا ما بدا لى تعاضته
فأصدر فى حال من لم يرد
ويقول الحارث المحاسبى : المحبة ميلك إلى الشيء بكليتك ، ثم
إيثارك له على نفسك وروحك ومالك ، ثم موافقتك له سرّاً وجهراً ، ثم
علمك بتقصيرك فى محبته .

ويقول الشبلى : المحب إذا سكت هلك ، والعارف إن لم يسكت هلك .
ويفسر بعض العارفين ^(١) هذا الكلام بقوله :
إن المحب الواله لا بدّ له من الشكوى ، ويهيج من المحبة حتى ليكاد
أن يحترق لو لم يبد ما عنده ، ولا يستطيع الصبر على غيبة محبوبه ،
لذلك قال الله فى حق أم موسى — عليه الصلاة والسلام — عند إلقائه فى
اليم وغيبته عنها (إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها) ولو
كان بين يديها لكتمته حرصاً عليه ، وكذلك العارف إذا وصل إلى

(١) السمو الروحى فى الأدب الصوفى لأحمد عبد المنعم عبد السلام الحلوانى .

المعرفة بمحبوبه كتم سره حرصًا على البقاء في حضرته وأدبًا من هيئته
وخشوعًا في حضرته ، ولأنه بات في حضرة الغنى المطلق مترقيًا في
الأسرار العلية فلا ينظر ما سواه ، وقد أغناه عن طلب غيره والتذُّ
بسريان السرفيه ، فهو في مسارح الروح تائه في بيداء الجلال ، يتكلم
المتكلمون حوله وقلبه قد لها عنهم ، وروحه في تجلياتها العظمى فوق
مدارك الفهوم فلا يفهمهم ولا يفهمهم ما لا يطيقون حمله ولا
يستطيعون فهمه ، ومن وجد في الحضرة فقد عراه الصمت المطلق في
باطن أسرارهِ ، ولو تكلم في الظاهر بموجب الشريعة وحال بشريته ،
ولكنه يلهب القلوب لمجرد رؤيته من أنوار الحق التي تتجلى على باطنه ،
ولذلك يذيق العارف محبيه حلاوة الإيمان بدون احتياج إلى بيان .

وقيل : المحبة نار في القلب تحرق ما سوى مراد المحبوب .

ويقول السوسى : لا تصلح المحبة إلا بالخروج عن رؤية المحبة إلى
رؤية المحبوب بفناء على المحبة .

ويروون أن السرى رفع إلى الجنيد رقعة وهو يقول له : هذه خير
من سبعمائة قصة أو حديث يعلو فإذا فيها :

ولما ادعيت الحب قال : كذبتنى

فمالي أرى الأعضاء منك كواسيا

فما الحب حتى يلصق القلب بالحشا

وتذبل حتى لا تجيب المناذيا

وتتحلّ حتى ليس يبقى لك الهوى

سوى مقلّة تبكى بها وتناجيا

ومما يروى أيضًا - في هذا السياق - أن يحيى بن معاذ كتب إلى أبي يزيد

البسطامي قائلاً : سكرت من كثرة ما شربت من كأس محبته .
فكتب إليه أبو يزيد : غيرك شرب بحور السموات والأرض وما روى
بعد ، ويقول هل من مزيد ؟
وأنشد :

عجبت لمن يقول : ذكرت إلفي
وهل أنس فأذكر ما نسيْتُ
أموت إذا ذكرتك ثم أحيا
ولولا حسن ظني ما حسيْتُ
شربنا الحب كأساً بعد كأس
فما نفذ الشراب وما رويْتُ
فأحيا بالمني وأموت شوقاً
فكم أحيا عليك وكم أموتُ
ويقول عبد الله بن المبارك :

من أعطى شيئاً من المحبة ولم يُعط مثله من الخشية فهو مخدوع .
وقيل : المحبة سكر لا يصحو صاحبه إلا بمشاهدة محبوبه ، ثم
السكر الذي يحصل عند الشهود لا يوصف .
وأنشدوا :

لي سكرتان والندمان واحدة
شيء خُصصتُ به من دونهم وحدي .
ويقول يحيى بن معاذ : مثقال خردلة من الحب أحب إليّ من عبادة
سبعين سنة بلا حب .

وتذاكر قوم المحبة في حضرة ذى النون المصرى فقال : كفّوا عن هذه
المسألة لا تسمعها النفوس فتدعيها ، ثم أنشأ يقول :

الخوف أولى بالمسئىء
إذا تألّاه والحق زن
والحب يجمّل بالتقى
وبالنقى من الـدردن

ويروون أن قوماً جلسوا يتذاكرون المحبة في الكعبة ، وكان الجنيد
أصغرهم سنّاً فطلبوا إليه الكلام ، فأطرق برأسه ودمعت عيناه ثم
قال : عبداً ذاهل عن نفسه ، متصل بذكر ربه ، قائم بأداء حقوقه ناظر
إليه بقلبه ، أحرقت قلبه أنوار هويته ، وصفا شربه من كأس وده ،
وانكشف له الجبار عن أستار غيبه فإن تكلم فبالله وإن نطق فعن الله
وإن تحرك فبأمر الله وإن سكن فمع الله ، فهو بالله ومع الله ، فبكى
القوم وقالوا : ما على هذا مزيد ، جَبَرَكَ اللهُ يا تاج العارفين .
والجنيد هو القائل :

وتحقّقك في سررى
فناجياك لسانى
فاجتمعنا لمعان
وافترقنا لمعان
إن يكن غيّبك التعظيم
عن لفظ عيانى
فلقد صيرك الوجد من الأحشاء دان

وهو القائل أيضًا في معنى المشاهدة :
حاضرٌ في القلب يعمره
لست أنساه فأذكره
فهو مولاي ومعتـمـدى
ونصـيبي منه أوفره

وقيل : أوصى الله تعالى إلى داود عليه السلام : يا داود إني حرمت
على القلوب أن يدخلها حبي وحب غيري .

ويروى عن أبي سعيد الخراز أنه قال : رأيت النبي - صلى الله عليه
وسلم - في المنام ، فقلت له : يا رسول الله اعذرني ، فإن محبة الله تعالى
شغلتنى عن محبتك ، فقال : يا مبارك ، من أحب الله فقد أحببني .

ونطالع في هذه السطور لأبى الحسن الشاذلى - أحد أقطاب
العارفين بالله والمتصلين بأسرار الحب الإلهى - اقتراباً من حدود هذا
العالم الروحى السمع والأفق النورانى السامى ، وهو يتحدث عن
الأنس الربانى وشوارق الأنوار ولوائح الأسرار ويقف عند الأحوال
والمقامات ، يقول أبو الحسن :

« أول منزل يطوّه المحب للترقى منه إلى العلا : النفس ، فإذا اشتغل
بسياستها ورياضتها إلى أن انتهى إلى معرفتها وتحققها أشرقت عليه
أنوار المنزل الثانى وهو القلب ، فإذا اشتغل بسياسته حتى عرفه ولم
يبق منه عليه شىء ، أشرقت عليه أنوار المنزل الثالث وهو الروح فإذا
اشتغل بسياسته وتمت له المعرفة هبت عليه أنوار اليقين شيئاً فشيئاً

إلى تمام نهاياته ، وهذه طريق العامة ، وأما طريق الخاصة فهي طريق مسلوكة ، تضمحل العقول في أقل القليل من شرحها . ويقول : « من أمدّه الله تعالى بنور العقل الأصلي شهد موجوداً لا حد له ولا نهاية ، بالإضافة إلى هذا العبد ، واضمحت جميع الكائنات فيه ، فتارة يشهدا فيه كما بنى في الهواء بواسطة نور الشمس ، وتارة لا يشهد انحراف نور الشمس من الكوة ، فالشمس التي يبصر بها هي العقل الضروري بعد المادة بنور اليقين ، وإذا اضمحل هذا النور ذهبت الكائنات كلها وبقي هذا الوجود ، فتارة يفنى وتارة يبقى ، حتى إذا أريد به الكمال نودى فيه نداء خفياً لا صوت له ، فيمد بالفهم عنه ، ألا إن الذى يشهد غير الله تعالى ليس من الله فى شىء ، فهناك يتنبه من سكراته فيقول : يارب ثبتنى وإلا فأنا هالك ، فيعلم يقيناً أن هذا الحب لا ينجيه منه إلا الله عز وجل فحينئذ يقال له : إن هذا الموجود هو العقل الذى قال فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أول ما خلق الله العقل ، فأعطى هذا العبد الذل ، والانتقياد لنور هذا الموجود ، إذ لا يقدر على حدّه وغايته ، فإذا أمد الله هذا العبد بنور أسمائه قطع ذلك كلمح البصر ، أو كما شاء الله تعالى : نرفع درجات من نشاء ، ثم أمدّه الله تعالى بنور الروح الربانى فعرف هذا الموجود قرقى إلى ميدان الروح الربانى ، فذهب بجميع ما تحلّى به هذا العبد ، وما تخلّى عنه بالضرورة ، وبقي كلا موجود ، ثم أحياء الله بنور صفاته فأدرجه بهذه الحياة فى معرفة هذا الموجود الربانى فلما استنشق من مبادئ صفاته كاد يقول : هو الله . فإذا لحقته العناية الأزلية نادته : ألا إنّ هذا الموجود

هو الذى لا يحق لأحد أن يصفه ، ولا يعبر عنه شىء من سر صفاته لغير أهله ، لكن بنور غيره يعرفه فإذا أمدّه الله بنور سر الروح وجد نفسه جالسًا على باب ميدان السرّ ، فرفع همته يعرف هذا الموجود الذى هو السرّ ، فعمى عن إدراكه فتلاشت جميع أوصافه كأنه ليس بشىء ، فإذا أمدّه الله تعالى بنور ذاته أحياء حياة باقية لا عاقبة ولا غاية لها ، فينظر جميع المعلومات بنور هذه الحياة ، ووجد نور الحق شائعًا فى كل شىء لا يشهد غيره ، فنودى من قريب : لا تغتر بالله ، فإن المحجوب من حجب عن الله بالله ، إذ محال أن يحجبه غيره ، وهناك يحيا حياة استودعها الله تعالى فيه ، ثم قال : أعوذ بك منك حتى لا أرى غيرك ، وهذا هو سبيل الترقى إلى حضرة العلى الأعلى ، وهو طريق المحبين الذين هم أبدال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وما يعطيه الله تعالى لأحدهم من بعد هذا المنزل لا يقدر أحد أن يصف منه ذرة ، والحمد لله على نعمائه .

وأما طريق المحبوبين الخاصة بهم ، فإنه ترقى منه إليه به ، إذ محال أن يتوصل إليه بغيره ، فأول قدم لهم بلا قدم ، إذ ألقى عليهم نور ذاته ، فغيبهم بين عبادته وحبيب إليهم الخلوات وصغرت لديهم الأعمال الصالحات ، وعظم عندهم رب الأرض والسماوات ، فبينما هم كذلك إذ ألبسهم ثوب العدم ، فنظروا فإذا هم لا هم ، ثم أردف عليهم ظلمة غيبتهم عن نظرهم ، فصار نظرهم عدمًا لا علة له ، فانطمست جميع العلل ، وزال كل حادث ، فلا حادث ولا وجود ، بل ليس إلا العدم الذى لا علة له ، فلا معرفة تتعلق به ، اضمحلت المعلومات ،

وزالت الرسومات زوالاً لا علة فيه ، وبقي من أشير إليه ، لا وصف له ولا صفة ولا ذات ، واضمحلت النعوت والأسماء والصفات كذلك ، فلا اسم ولا صفة ولا ذات ، فهناك ظهر ما لم يزل ظهوراً لا علة فيه ، بل ظهر بسره لذاته في ذاته ظهوراً لا أولية له ، بل نظر من ذاته لذاته في ذاته ، وهناك يحيا العبد بظهور حياة لا علة لها ، وصار أولاً في ظهوره لا ظاهراً قبله ، فوجدت الأشياء بأوصافه وظهرت بنوره في نوره سبحانه وتعالى . ثم يغطس بعد ذلك في بحر بعد بحر إلى أن يصل إلى بحر السر فإذا دخل بحر السر غرق غرقاً لا خروج له منه أبد الآباد ، فإن شاء الله تعالى بعثه نائباً عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، يحيى به عباده ، وإن شاء ستره يفعل في ملكه ما يشاء .

ويقول أبو الحسن الشاذلي : « لا يوصف العبد بأنه قد هجر المعاصي إلا إن كانت لم تخطر له على بال ، فإن حقيقة الهجر نسيان المهجور ، هذا في حق الكاملين ، فإن لم يكن كذلك فليهجر على المكابدة والمجاهدة » .

ويقول أيضاً : لن يصل العبد إلى الله تعالى وبقي معه شهوة من شهواته ، ولا مشيئة من مشيئاته ، ولن يقتل هو نفسه حتى يأخذها بالقوة وشدة المجاهدة إلى أن يذلها تذليلاً ويروضها على نسيان ذاتها ، فيقف عند حد الذل إلى الله تعالى .

وفي ذلك يقول عمر بن الفارض :

وما ظفرت بالودّ روح مُراحَةً
ولا بالولا نفس ، صفا العيش ودّت

وأين الصفا؟ هيهات بالعيش عاشقٌ
وجنة عدنٍ بالمسكاره حُفَّتِ
ولى نفس حرٌّ لو بذلت لها على
تسليكَ ما فوق المنى ما تسلَّتِ
ولو أبعدت بالصدِّ والهجر والقلبي
وقطع الرِّجا من خلَّتِي ما تخلَّتِ
وعن مذهبي في الحب ما لى مذهبٌ
وإن ملت يوماً عنه فارقت ملَّتِي
ولو خطرت لى فى سواك إرادة
على خاطرى سهواً قضيت برِدَّتِي

ويقول بعض العارفين من المحبين : « لولا الحب لم يخلق الله فى الناس حياة ، فالحياة حب الله هى السعادة والوجود ، وفى غير حب الله هى الشقاء والفقد . وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشدَّ حبا لله ، ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب ﴾ .

فال مخلوق يحن إلى خالقه بضرورة وجوده ، لا يجد محبوباً أسمى فى الله ، ولا يجد راحة إلا فى السكون إليه وغنىً إلا به ، ولا جمالاً إلا فى التشوق إليه ، والخالق يحن إلى من خلق ببرّه ورحمته ، وبحكم احتياج المخلوق إلى خالقه إلا إذا كان من الكافرين الأشقياء ، أو ذل بالحب المادى حتى هلك فيه .

وهو شبيه بقول من قال : سألت ربى بأى شىء أصل إليك يارب ؟
فقال : اترك نفسك وتعال .

فإذا قتل حب النفس والأنانية والشهوات ، عاش لله بلا نفس ،
وكانت الروح القدسى هى المتغلبة على النفس فمحتها وعاش بها
محلّقاً فى سماء القدس لا يهوى الدنيا وأهلها .

ويقول ذو النون المصرى : الأنس بالله نور ساطع ، والأنس بالناس
سم قاطع . الشوق أعلى الدرجات والمقامات إذا بلغه العبد استبطأ
الموت شوقاً إلى ربه ، وحباً للقاءه والنظر إليه .

ويقول : مدار الطريق على أربع : حب الجليل ، وبغض الفانى
القليل ، واتباع التنزيل .

ويقول :

لا لأنى أنساك أكثر ذكراك
ولكن بذاك يجرى لسانى

ويقول :

ذكرنا وما كنا ننسى فنذكر
ولكن نسيم القرب يبدو فيظهر
وأحيا به عنى وأحيا به له
إذ الحق عنه مخبر ومعبّر
ومن أشعاره فى الحب الإلهى :

أنت فى غفلة وقلبك ساهى
فغدا العمر والذنوب كماهى

جمّةٌ أحصيت عليك جميعاً
في كتاب وأنت عن ذاك لا هي
لم تبادر بتوبة منك حتى
صرت شيخاً فحبلك اليوم وإه
فاجتهد في فكك نفسك واحذر
يوم تبدو السمات فوق الجباه
وتصل الحال بالعارفين والعاشقين إلى أعلى درجات الذكر ،
والمشاهدة فيفيض البيان بما عجز عن كتمان القلب واللسان .
يقول الشبلي الذي كان يقوم بالليل ويكتحل من الملح ليعتاد السهر
ولا يأخذه النوم :

ذكرتك ، لا أنى نسيتك لحظة
وأيسر ما في الذكر ذكر لسانى
وكدت بلا وجد أموت من الهوى
وهام على القلب بالخفقان
فلما أرانى الوجد أنك حاضري
شهدتك موجوداً بكل مكان
فخاطبت موجوداً بغير تكلم
ولاحظت معلوماً بغير عيان
ويقول النابلسي الذي شغلت أذكاره الناس في مصر والشام
والعراق لما فيها من عذوبة الإيقاع وجيشان النغم وخفة الروح في
أنشودة الساقى :

ساقى يا ساقى
اسقنى من خمره الباقى
واكشف لى عن قيد إطلاقى
آه يا ساقى ، آه يا ساقى
أستاره راحت
عن عيني والزهرة فاحت
والسكرة بالأسرار باحت
آه يا ساقى ، آه يا ساقى
اكشف لى عنك
فى ذاتى وافتح لى دُنياك
واجعلنى يا حبيبى أنك
آه يا ساقى ، آه يا ساقى
افتح لى باب الحان
واسمعنى من طيب الألحان
وارشفنى من كأسى الملائن
آه يا ساقى ، آه يا ساقى
من يشرب يسكر
من خمرى لما يتفكر
والمغرور فى علمه أنكر
آه يا ساقى ، آه يا ساقى

لا يعرفُ أُمـرى
 إلا من يشرب خمـرى
 أحشاؤه تصلى فى جمـرى
 آه يا ساقى ، آه يا ساقى
 ويقول النابلسى فى تجليات وجه المحبوب ، وهى مقطوعة ذاعت فى
 حلقات الأذكار عن المتصوفة والعشاق :
 تجلّى وجه محبوبى
 وهذا كُـلّ مطلـوبى
 فيانار العدا ذوبى
 بعيدٌ عنك مشـروبى
 جمال الأهيف الزاهى
 وحسنُ الأغيد الباهى
 به صبرى هو الواهى
 وموتى فيه مرغوبى
 رأينا نوره أشـرق
 فكنا برقه الأبـرق
 ولا نجدُ ولا أبـرق
 سوى الإبريق والكوبِ
 علينا الخمر قد دارت
 بها ألبابنا حارت

وأطيار الهوى طارت
بترتيب وأسلوب
ملح الكون وافاننا
وزاد الحسن إحساننا
وحيا يوسف الآننا
فقرت عين يعقوب
ويروون أن أبا حمزة الخراساني كان يقول : من استشعر ذكر
الموت حبب الله إليه كل باقٍ وبغض إليه كل قانٍ .
وقال له رجل : أوصني ، فقال له أبو حمزة : هي زادك للمسفر الذي
بين يديك .

ومن أشعاره في معنى الشهود والرضا بالحبيب :
أهابك أن أبدى إليك الذي أخفى
وسرى يبدى ما يقول له طر في
نهاني حيائي منك أن أكتم الهوى
وأغنيتني بالفهم منك عن الكشف

ويروون أن سحنون المحب سئل ذات يوم عن التصوف فقال : هذا
مذهب كله جد فلا تخطوه بشيء من الهزل .

ومن أقواله : من علامة الاغترار أن تسيء فيحسن الله إليك فتترك
الإنابة والتوبة توهمًا أنك تسامح في الهفوات وترى أن ذلك من بسط
الحق عليك .

ويقول : الفقير الصادق الذي يأنس بالعدم كما يأنس الجاهل بالغنى ، ويستوحش من الغنى كما يستوحش الجاهل من الفقير .

ويقول سحنون واصفًا حال المحبين العارفين :

حنين قلوب العارفين إلى الذكر

وتذكارهم وقت المناجاة للسرِّ

ولا عيش إلا مع رجال قلوبهم

تحنُّ إلى التقوى وترتأخُّ للذكر

أديرت كئوس للمنايا عليهم

فأغفوا عن الدنيا كأغفاء ذى السكر

همومهمو جوالَّة بمعسكر

به أهل ودَّ الله كالأنجم الزهر

فأجسادهم في الأرض قتلى بحبِّه

وأرواحهم في الحُبِّ نحو العلاتسرى

فما عرَّسوا إلا بقرب حبيبهم

وما عرجوا عن مس بؤس ولا ضرِّ

سكُونٌ إلى روح اليقين وطيبه

كما سكن الطفل الرضيع إلى الحجر

وسحنون هو القائل :

كان لي قلبٌ أعيشُ به

ضباع منى في تقلُّبه

ربَّ فاردهُ علىَّ فقد

ضباق صدرى في تجلُّبه

وَأَغْثُ مَا دَامَ بِي رَمَقٌ
يَا غِيَاثَ الْمُسْتَغِيثِ بِهِ

ويقول الإمام القشيري :

الغيبية غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق لاشتغال
الحس بما ورد عليه ، ثم قد يغيب عن إحساسه بنفسه وغيره ، بوارد
من تذكر ثواب أو تفكر عقاب .

ويروون عن علي بن الحسين أنه كان في سجوده فوق حريق في
داره فلم ينصرف عن صلاته ، فسئل عن حاله فقال : ألتهنى النار
الكبرى عن هذه النار .

ويقول بعض العارفين :

إن المحب يكون في المظهر كسائر الناس ، لكنه في الحقيقة غائب
عنهم في طلب مراده ، ويستوى عنده الموت والحياة ، مادامت روحه
متعشقة لذات حبيبه مسلمة له في جميع الأمور . فحياته فناؤه وفناؤه
حياته ، ولو علم الناس حقيقة البقاء في حضرة الحق وانكشف لهم
الحجاب لم يزاولوا أمراً من أمور الدنيا ، وتراموا على أعتاب البقاء لما
فيه من السعادة .

ومن هنا جاء شعرهم :

قد شربنا من حبه فسكرنا
وعرفنا من أين نأتى الجوارا
ودخلنا دار الكرامة نروى
بيقين الهوى وكنّا حيسارى

اعذرونا إذا نهيم ، فإننا
في ديار الهوى خُلِقنا أسارى
وترانا من حيث نشرب في الكأس
سُكاري ولم نكن بسُكاري
نتحصّل بالعلم في كل نادر ،
ونُرى بالتقوى علينا إزارا
فقلوب مثل الكواكب فينا
تُظهر النور فهو لا يتوارى

وامتلات كتب تراثنا العربى بالكثير من أجوبة المحبين العارفين ،
أهل التصوف والعشق الإلهى ، لما حفلت به من جوامع الكلم ، ومن
نماذج بليغة ، رفيعة التعبير ، مشرقة البيان ، فضلاً عن امتلائها بكل ما
يُزيّن مكارم الأخلاق .

قيل لسهل بن عبد الله المروزي : مالك تكثر التصديق ؟ فقال :
لو أن رجلاً أراد أن يتنقل من دار إلى دار ، أكان يُبقى في الأولى
شيئاً؟ .

وقيل للربيع بن خيثم وقد اعتل : ندعو لك بالطبيب ؟
فقال : قد أردت ذلك فذكرت عاداً وثمروداً وأصحاب الرّسّ وقروناً
بين ذلك كثيراً ، وعلمت أنه كان فيهم الداء والمداوى فهلكوا جميعاً .
وقيل لبعض الزهاد : ما أبلغ العظّات ؟ فقال : محلّة الأموات .
وقيل للحسن البصريّ : كيف ترى الدنيا ؟ فقال : شغلنى توقع
بلائها عن الفرح برخائها .

وقيل للفضيل بن عياض : إن ابنك يقول : وددت أنى فى مكان أرى
الناس ولا يروننى .

فقال : يا ويح ابنى ، أفلا أتمها فقال : لا أراهم ولا يروننى .

وقيل لبعض الصوفية : أى شىء أعجب عندك ؟

فقال : قلب عرف الله ثم عصاه .

وقيل لآخر : مالك كلما تكلمت بكى من يسمعك ، ولا يبكى من كلام

واعظ المدينة أحد ؟

فقال : ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة .

وقيل للربيع بن خيثم : ما نراك تغتاب أحداً ، فقال : لست عن حالى

راضياً حتى أفرغ لذم الناس .

وقيل لعبد الله بن المبارك : حتى متى تكتب كل ما تسمع ؟

فقال : لعل الكلمة التى تنفعنى لم أكتبها بعد .

وقيل لصوفى : ما صناعتكم ؟

فقال : حسن الظن بالله وسوء الظن بالناس .

وقيل للشبلى : لم سمى الصوفى ابن الوقت ؟

فقال : لأنه لا يأسف على الفائت ولا ينتظر الوارد .

وقيل لابن السماك : ما الكمال ؟

فقال : الكمال أن لا يعيب الرجل أحداً يعيب فيه مثله حتى يصلح

ذلك العيب من نفسه ، فإنه لا يفرغ من إصلاح عيب حتى يهجم على

آخر فتشغله عيوبه عن عيوب الناس ، وأن لا يطلق لسانه ويده حتى

يعلم أفى طاعة أم فى معصية ، وأن لا يلتبس من الناس إلا ما يعلم أنه

يعطيهم من نفسه مثله ، وأن يسلم من الناس باستشعار مداراتهم ،
وتوفيته حقوقهم ، وأن ينفق الفضل من ماله ويمسك الفضل من
قوله .

وقيل للشبلي : من الرفيق ؟

فقال : من أنت غاية شغله .

ويقول ابن عطاء الله السكندري :

دخلت على الشيخ - رضى الله عنه - وفي نفسى العزم على التجريد
قائلاً فى نفسى : « إن الوصول إلى الله تعالى على هذه الحالة بعيد مع
الاشتغال بالعلوم الظاهرة ووجود المخالطة للناس » فقال لى من غير
أن أسأله :

صحبنى إنسان مشتغل بالعلوم الظاهرة ومتصدر فيها فذاق من
هذه الطريق شيئاً ، فجاء إلى فقال : يا سيدى أخرج عما أنا فيه وأتجرد
لصحبتك ، فقلت له : ما الشأن ذاك ، ولكن امكث فيما أنت فيه ، وما
قسم الله لك على أيدينا فهو إليك واصل ، ثم قال الشيخ - ونظر إلى -
« وهكذا شأن الصديقين لا يخرجون من شىء حتى يكون الحق
سبحانه وتعالى هو الذى يتولى إخراجهم ، فخرجت من عنده وقد غسل
الله تلك الخواطر من قلبى ، ووجدت الراحة بالتسليم إلى الله تعالى » .

ويقول ابن عطاء الله :

إنما يستوحش العباد والزهاد من كل شىء ، لغيبتهم عن الله فى كل
شىء ، ولو شهدوه فى كل شىء ، لم يستوحشوا من شىء .
ويقول :

علم منك أنك لا تصبر عنه فأشهدك ما برز منه . لو أنك لا تصل إليه إلا بعد فناء مساويك ، ومحو ذنوبك لم تصل إليه أبدًا ، ولكن إذا أراد أن يوصلك إليه غطى وصفك بوصفه ، ونعتك بنعته ، فوصلك إليه بما منه إليك لا بما منك إليه .

ويقول :

حظ النفس في المعصية ظاهر جلّ ، وحظها في الطاعات باطن خفى ، ومداواة ما يخفى صعب علاجه .

ربما دخل الرياء عليك من حيث لا ينظر الخلق إليك .

ويقول ابن عطاء الله في استغاثاته :

إلهى : أنا الفقير في غناي ، فكيف لا أكون فقيرًا في فقرى .

إلهى : أنا الجاهل في علمي ، فكيف لا أكون جهولاً في جهلى .

إلهى : وصفت نفسك باللطف والرفقة بى قبل وجود ضعفى أفتمنعنى منهما بعد وجود ضعفى .

إلهى : إن ظهرت المحاسن منى فبفضلك ولك المنّة على ، وإن ظهرت

المساوىء فبعدلك ولك الحجة على ، ها أنا أتوسل إليك بفقرى

إليك ، وكيف أتوسل إليك بما هو محال أن يصل إليك ؟ أم كيف

أشكو إليك حالى وهى لا تخفى عليك ، أم كيف أترجم لك بمقالى

وهو منك برز إليك ؟ أم كيف تخيب آمالى وهى وفدت إليك ؟ أم

كيف لا تحسن أحوالى وبك قامت وإليك ؟

وينفتح أمام قلبه باب الرجاء فيقول :

إلهى : كلما أخرسنى لؤمى أنطقنى كرمك ، وكلما أيسئننى أوصافى

أطمعنتنى منتك .

وينكر ابن عطاء الله أن تكون الكائنات هي الشاهد على وجود الله
فيقول :

إلهى : كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك ؟
أىكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك ؟
متى غبت حتى نحتاج إلى دليل يدل عليك ؟ ومتى بعدت حتى
تكون الآثار هي التي توصل إليك .

إلهى : أمرت بالرجوع إلى الآثار ، فأرجعنى إليها بكسوة الأنوار ،
وهداية الاستبصار ، حتى أرجع إليك منها كما دخلت إليك منها
مصون السر عن النظر إليها ، ومرفوع الهمة عن الاعتماد
عليها، إنك على كل شيء قدير .

ويتلهف على الوصول إلى الله فيقول :

إلهى : منك أطلب الوصول إليك ، وبك أستدل عليك فاهدنى بنورك
إليك ، وأقمنى بصدر العبودية بين يديك .
إلهى : تقدس رضاك عن أن تكون له علة منك ، فكيف تكون له علة
منى ، أنت الغنى بذاتك عن أن يصل إليك النفع منك ، فكيف لا
تكون غنياً عنى .

ويقول ابن عطاء الله : إلهى ، إن رجائى لا ينقطع عنك وإن
عصيتك، كما أن خوفى لا يزايلك وإن أطمعتك .

ويشير الدكتور زكى مبارك في كتابه عن التصوف الإسلامى إلى أن
لابن عطاء الله كلمات سارت مسير الشمس ، فكانت شاهداً على قوته

الروحية ، من بينها قوله : إلهي ، هذا ذلي ظاهر بين يديك ، وهذا حالي لا يخفى عليك ، بك أستنصر فانصرني ، وعليك أتوكل فلا تكلني ، وإياك أسأل فلا تخيبيني وفي فضلك أرغب فلا تحرمني ، ولجنابك أنتسب فلا تبعدني ، وببإبك أقف فلا تطردني .

ويقول إسحاق بن إبراهيم السرخسي : سمعت ذا النون وفي يده الغل - أي القيد - بعد أن سيق إلى الخليفة المتوكل من مصر إلى بغداد مقيداً مغلولاً لأن بعض من لم يفهموه وشوا به واتهموه في دينه - وهو يساق إلى الموت والناس ييكون حوله وهو يقول :
هذا من مواهب الله تعالى ومن عطاياه ، وكلُّ فعالة عذب حسنٌ طيب، ثم أنشد :

لك من قلبى المكان المصونُ
كلُّ لوم علىّ فيك يهونُ
لك عزمٌ بأن أكون قتيلاً
فيك ، والصبر عنك ما لا يكونُ

ومن أقوال ذى النون : الصوفية قوم آثروا الله على كل شيء فآثرهم على كل شيء . ومن وصاياہ المأثورة عند الصوفية :

ليس بذى لبٍ من كاس (أى التزم بالكياسة) في أمر دنياه وحمق في أمر آخرته ، ولا من سفه في مواطن حلمه ، وتكبر في مواطن تواضعه ، ولا من فقد منه الهوى في مواضع طعمه ، ولا من غضب من حق إن قيل له ، ولا من زهد فيما يرغب العاقل عن مثله ، ولا من زهد فيما يزهد الأكياس في مثله ، ولا من استقل الكثير من خالقه عز وجل ،

واستكثر قليل الشكر من نفسه لغيره ، ولا من نسي الله في مواطن طاعته ، وذكر الله في مواطن الحاجة إليه ، ولا من جمع العلم فعرف به ثم أثر عليه هواه عند متعلمه ، ولا من قلّ منه الحياء من الله على جميل ستره . ولا من أغفل الشكر عن إظهار نعمته ، ولا من عجز عن مجاهدة عدوه لنجاته إذا صبر عدوه على مجاهدته ، ولا من جعل مروءته لباسه ، ولم يجعل أدبه درعه وتقواه لباسه ، ولا من جعل علمه ومعرفته تظرفاً وتزييناً في مجلسه .

ثم يقول :

أستغفر الله ، إن الكلام كثير ، وإن لم تقطعه ينقطع ، لا تخرجوا من ثلاثه : النظر في دينكم بإيمانكم ، والتزود لأخركم من دنياكم والاستعانة بربكم فيما أمركم به ، ونهاكم عنه .

ويقول يحيى بن معاذ : يكاد رجائي لك مع الذنوب ، يغلب رجائي لك مع الأعمال ، لأنى أجدنى أعتمد فى الأعمال على الإخلاص ، وكيف أحررها من الرياء وأنا بالآفة معروف ، وأجدنى فى الذنوب أعتمد على عفوك ، وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف ؟

ويروى السراج الطوسى أن رجلاً وقف على الشبلى فقال له : أى صبر أشد على الصابرين ؟ فقال : الصبر لله ، فقال الرجل : لا ، فقال الشبلى : الصبر مع الله ، فقال الرجل : لا ، فغضب الشبلى وقال : ويحك ، فماذا ؟ فقال الرجل : الصبر من الله عز وجل .

فصرخ الشبلى صرخة كادت تُتلف روحه .

ثم يقول السراج : وسألت ابن سالم بالبصرة عن الصبر فقال : هو

على ثلاثة أوجه : متصبر وصابر وصَبَّار ، فالمتصبر من صبر في الله تعالى ، فمرة يصبر على المكاره ومرة يعجز ، والصابر من يصبر لله وفي الله ولا يعجز ، وأما الصَبَّار فذلك الذى صبره في الله والله وبالله ، فهذا لو وقعت عليه جميع البلايا لا يعجز ولا يتغير من جهة الوجوب والحقيقة لا من جهة الرسم والخلقة .

وبانتقال التجربة الصوفية في التعبير عن الحب الإلهي - نثرًا وشعرًا - إلى محيي الدين بن عربي ، تزداد لغتها قوة وحرارة ورصانة ، وتمتلئ بالتعابير والاصطلاحات والرموز التي يتطلب فهمها واستيعابها شروحًا وذيولًا وإفاضات تفتح بها مغاليق ذلك العالم الواسع الرحيب الذي يحلق فيه ابن عربي ويطوف ، في مشاهد أنسه ومجالي تجلياته .

ويعده الدكتور زكي مبارك في كتابه « التصوف الإسلامى » من طبقة الكتاب العظام ، ويرى أن نثره يمتاز بميزة عجيبة ، هي أنه لا يشغلك بالألفاظ ، وإنما يشغلك بالمعاني ، ففي كل صفحة من كتبه معركة عقلية ، فالقوة البيانية عنده قوة فكرة لا قوة تهويل .

يقول ابن عربي :

كنت أطوف ذات ليلة بالبيت فطاب وقتي ، وهزنى حال كنت أعرفه ، فخرجت من البلاط من أجل الناس وطففت على الرمل ، فحضرتنى أبيات فأنشدتها أسمع بها نفسى ومن يلينى لو كان هناك أحد ، فقلت :

ليت شعري هل دروا أى قلب ملكوا
وفؤادى لو درى أى شعب سلکوا
أتراهم سلموا أم تراهم هلكوا
حار أرباب الهوى فى الهوى وارتبكوا

فلم أشعر إلا بضربة بين كتفى بيد ألىن من الخز ، فالتفت فإذا
بجارية من بنات الروم لم أر أحسن وجهًا ولا أعذب منطقًا ، ولا أرقَّ
حاشية ، ولا أطف معنى ولا أدق إشارة ، ولا أظرف محاورة منها ، قد
فاقت أهل زمانها ظرفًا وأدبًا وجمالًا ومعرفة ، فقالت : يا سيدى كيف
قلت ؟ فقلت :

ليت شعري هل دروا أى قلب ملكوا
فقالت :

عجبًا منك وأنت عارف زمانك ، تقول مثل هذا ؟
أليس كل مملوك معروفًا ؟ وهل يصح الملك إلا بعد المعرفة
وتمنى الشعور يؤذن بعدمها ، والطريق لسان صادق ،
فكيف يجوز لمثلک أن يقول هذا ؟ قل يا سيدى ، فماذا قلت
بعده ؟

قلت :

وفؤادى لو درى أى شعب سلکوا
فقالت :

يا سيدى ، الشعب الذى بين الشغاف والفؤاد هو المانع له

من المعرفة ، فكيف يتمنى مثلك ما لا يمكن الوصول إليه إلا
بعد المعرفة والطريق لسان صدق ، فكيف يجوز لمثلك أن
يقول هذا ؟ يا سيدي ، فماذا قلت بعده ؟

فقلت :

حار أربابُ الهوى في الهوى وارتبكوا

فصاحت وقالت :

يا عجباً ، كيف يبقي للمشغوف فضلة يحار بها ، والهوى شأنه
التعميم يخدر الحواس ، ويذهب العقول ، ويدهش الخواطر ويذهب
بصاحبه في الذاهبين ، فأين الحيرة وما هنا باق فيحار ، والطريق لسان
صدق والتجوز من مثلك غير لائق ، فقلت :
يا بنت الخالة ، ما اسمك ؟ فقالت : قرّة العين ، فقلت : لى ! ثم سلمتُ
وانصرفت ثم إنى عرفتُها بعد ذلك وعاشتُها فرأيت عندها من لطائف
المعارف ما لا يصفه واصف .

ومن الآثار الجميلة لابن عربي أبيات يقول فيها :

ذبت اشتياقاً ووجدًا في محبتكم
فأه من طول شوقي أه من كمدي
يدى وضعت على قلبي مخافة أن
ينشق صدرى لما خاننى جلدى
ما زال يرفعها طورًا ويخفضها
حتى وضعت يدى الأخرى تشد يدى

ومن منظوماته التي يقعد فيها للتصوف ، ويضمنها خلاصة أفكاره ونظراته - في الإشارة إلى الألفة بين العبد والرب - مقطوعة يقول فيها :

كَلَّمَا قَلْتُ : سَيِّدِي	قَالَ لِي : أَنْتَ مَالِكِي
سَيِّدٌ وَاللَّهِ كَوْنٌ	عَبْدِي عَلَى مَسَالِكِي
مَالِنَا عَنْهُ صَارَفٌ	فِي جَمِيعِ الْمَدَارِكِ
لَسْتُ فِي عَيْنِهِ وَلَا	فَعَلَهُ بِالْمَشَارِكِ
فَهُوَ الْمَالِكُ الَّذِي	لَيْسَ يَدْعَى بِمَالِكِ
وَأَنَا الْخَادِمُ الَّذِي	يَعْتَنِي بِالْمَمَالِكِ
قَلْتُ يَا رَبَّ عَصْمَةَ	مِنْ سَبِيلِ الْمَهَالِكِ
قَالَ : سَمِعَا فَأَنْتَ عَبْدِي	مِنْ أَهْلِ الْأَرَائِكِ
فِي سُرُورٍ وَغَبْطَةٍ	لَا مِنْ أَهْلِ الدَّرَائِكِ

ويوضح الدكتور محمود قاسم في كتابه عن (الخيال في مذهب محيي الدين بن عربي) كيف سبق ابن عربي شعراء الرومانتيكية في العصر الحديث إلى إدراك أن الخيال أعظم قوة خلقها الله ، وهو يرمى في المقام الأول إلى الربط بين الكشف الصوفي وهذه القدرة التي يصفها بأنها استمرار لعملية الخلق الإلهي : « فليس للقدرة الإلهية فيما أوجدته أعظم وجودًا من الخيال ، فبه ظهرت القدرة الإلهية والاقترار الإلهي ، فهو أعظم شعائر الله على الله ، ومن قوة حكم سلطانه ما تثبته الحكماء ، مع كونهم لا يعلمون مما قالوه ، ولا يوفونه حقه ، وذلك أن

الخيال - وإن كان من الطبيعة - فله سلطان عظيم على الطبيعة بما أيده الله من القوة الإلهية » .

ومن هنا كان تفسير ابن عربى لما أنعم به الله عليه من فتوحات ضمنها كتابه « الفتوحات المكية » القائم على أن هذا الكتاب ليس إلا وليد تلك الصور الخيالية التى كان يتلقاها - كمحب - بعين الخيال فى حال اليقظة وأحياناً فى أحلامه ، ويصف هذا كله بأنه نوع من الإلقاء الإلهى الذى ينزل على قلبه . ويلجّ ابن عربى - خشية المسارعة إلى اتهامه - فى تأكيد أن ما يتلقاه من فيوض وفتوحات ليس شبيهاً بالوحي الذى اختص الله به رسله إذا انقطعت النبوة والرسالة بموت الرسول - صلى الله عليه وسلم - وإنما هو جود إلهى ، أو هو ضرب من الحكمة ، تلك الحكمة التى لا يعلمها إلا من أوتيتها « فهى هبة من الله تعالى » كما وهبنا وجود أعياننا ولم نكن شيئاً وجودياً .. وهذا الكتاب من ذلك النمط .. فوالله ما كتبت منه حرفاً إلا من إملاء إلهى ، وإلقاء ربانى ، أو نفث روحانى فى روع كيانى .. هذا جملة الأمر مع كوننا لسنا برسل مشرعين ولا بأنبياء مكلفين ، فإن رسالة التشريع ونبوة التكليف قد انقطعت عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلا رسول بعده ، ولا نبي يشرع ولا تكليف ، وإنما هو علم وحكمة وفهم من الله فيما شرعه على ألسنة رسله وأنبيائه عليهم سلام الله .. وما خط فى لوح الوجود من حروف العالم وكلمات الحق ، فالتنزيل لا ينتهى بل هو دائم دنيا وآخرة :

الله أنشأ من طيٍّ وخولان

جسمى ، فعدلنى خلقا وسوانى

وأنشأ الحق لى روحا مطهرة
فليس بنيان غيرى مثل بنيانى
إنى لأعرف روحا كان ينزل بى
من فوق سبع سماوات بفرقان
يريد قوله تعالى : ﴿ إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ﴾ .

[سورة الأنفال : الآية ٢٩]

ويؤكد الدكتور محمود قاسم^(١) كما يؤكد سائر الباحثين أن ابن
عربى فى نثره وشعره - لم يحب أحدًا فى الحقيقة سوى الله ، ولكنه
احتجب عن الله تعالى بحب زينب وسعاد وهند ولىلى والدينار والدرهم ،
فكل هذه الضروب من الحب ليست إلا صورًا أو رموزًا لحقيقة كبرى
لا يمكن التعبير عن جمالها وجلالها ، إلا إذا سلك العاشق لها سبيل
الغزل والتشبيب لكى يصور فيها ما استطاع ، ما يختلج بفؤاده من
حب وهيام .

يقول ابن عربى :

كل ما أذكره من طلل	أو ربوع أو مغان كل ما
وكذا إن قلت ها أوقلت يا	وألأ ، إن جاء فيه ، أو أما
وكذا إن قلت هي أوقلت هو	أوهمو، أو هنّ جمعًا ، أو هما
وكذا إن قلت : قد أنجد لى	قدر فى شعرنا أو أتهما
وكذا السحب إذا قلت بكت	وكذا الزهر إذا ما ابتسما

(١) الخيال فى مذهب محبى الدين بن عربى (فصل عن الحب الإنسانى والحب الإلهى) للدكتور
محمود قاسم .

أو أنادى بحدادة يميموا	بانة الحاجز أو ورق الحمى
أو بدور في خدودٍ أفلت	أو شمويس أو نبات أنجما
أو بروق أو رعودٍ أو صبا	أو رياح أو جنوب أو سما
أو طريق أو عقيق أو نقا	أو جبال أو تلال أو رما
أو نساء كاعبات نهدي	طالعات كشموس أو دمي
كل ما أذكره مما جرى	ذكره ، أو مثله أن تفهما
منه أسرار وأنوار جلت	أو علت جاء بها رب السما
لفؤادى أو فؤاد من له	مثل مالى من شروط العلما
صفة قدسية علوية	أعلمت أن لصدقى قدما
فاصرف خاطر عن ظاهرها	واطلب الباطن حتى تعلما

ومن هنا يمكن تذوق وتفسير الكثير من الآثار الشعرية لابن عربى،
 فى الحب الذى وجده ذوقا ، ففاق كونه عشقا مفرطا ، وهوى مقلقا
 وغراما ونحولا ، وامتناع نوع ، دون أن يتحدد المحبوب .

يقول ابن عربى :

علقت بمن أهواه عشرين حجة
 ولم أدر ما أهوى ، ولم أعرف الصبرا
 ولا نظرت عينى إلى حسن وجهها
 ولا سمعت أذنائى قط لها ذكرا
 إلى أن تراءى البرق من جانب الحمى
 فنعمنى يوما ، وعذبنى دهرًا
 ويقول فى المعنى نفسه :

علقت بمن أهواه من حيث لا أدري
ولم أدرك من هذا الذي قال لا أدري
فقد حرت في حالي وحارت خواطري
وقد حارت الحيرات في وفي أمري
فبيننا أنا من بعد عشرين حجة
أترجم عن حب يعانقه سرى
ولم أدرك من أهوى ، ولا أعرف اسمه
ولم أدرك من هذا الذي ضمّه صدرى
إلى أن بدا لي وجهها من نقابها
كمثل سحب الليل أسفر عن بدر
فقلت لهم : من هذه ؟ قيل هذه
بُنيَّةُ عين القلب ، بنت أخى الصدر
فكبرت إجلالا لها ، ولأجلها
فليلي بها أربى على ليلة القدر

ويروى ابن عربى في كتابه ، « محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار »
حديثاً عن ابن باكوويه عن أبى الفضل القطان عن جعفر الخلقى قال :
سمعت الجنيد يقول : حججت على الوحدة فجاورت مكة فكنيت إذا جن
الليل دخلت أطوف ، فإذا بجارية تطوف وهى تقول :
أبى الحب أن يخفى وكم قد كتمته
فأصبح عندى قد أناخ وطنبا
إذا اشتد شوقى هام قلبى بذكره
وإن رمت قربان حبيبى تقربا

ويبدو فأفنى ، ثم أحيا بذكره
ويسعدنى حتى ألدُّ وأطربا
فقلت لها : يا جارية ، أما تتقين الله في هذا المكان ، تتكلمين بهذا
الكلام ؟ فالتفتت إلى وقالت : يا جنيد :

لولا التقى لم ترنى أهرج طيب الوسن
إنَّ التقى شردنى كما ترى عن وطنى
أفر من وجدى به فحببه هيمنى

ثم قالت : يا جنيد ، تطوف بالبيت أم برب البيت ؟ قلت أطوف
بالبيت . فرفعت رأسها إلى السماء وقالت : سبحانك ، ما أعظم شأنك في
خلقك ، خلق كالأحجار يطوفون بالأحجار ، ثم أنشأت تقول :
يطوفون بالأحجار يبغون قربةً
إليك ، وهم أقسى قلوباً من الحجر
وتاهوا ، ولم يدروا من التيه من همو
وجلوا محل القرب في باطن الفكر
فلو صدقوا في الود غابت صفاتهم
وقامت صفات الود للحق في الذكر

قال الجنيد : فغشى على من قولها ، فلما أفقت لم أرها .
والتأمل في آثار هؤلاء المتصوفة والعشاق الهائمين في ساح الحب
الإلهى يرى أنها تصدر عن مبدأين يحكمان الأمر كله ، أولهما أن العقل
الإنسانى وحده غير كاف في الهداية إلى الله ، فليس فيه غناء في هداية

الإنسان إلى الإيمان الحق . ومن هنا ، فهم جميعاً يلجأون إلى القلب واستشعار الحب الإلهي طلباً لنور الهداية والإشراق العلوي . وهي السبيل المألوفة للنجاة عندهم . فالعقل - في رأيهم - لا يستطيع حل كثير من المسائل .

يقول الغزالي وهو يتحدث عن الصوفية : « وحصلت ما يمكن أن يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع ، فظهر لي أن أخص خواصهم مالا يمكن الوصول إليه بالتعلم ، بل بالذوق والحال ، وتبدل الصفات^(١) وكان قد حصل معي من العلوم التي درستها والمسالك التي سلكتها في التفتيش عن صنفى العلوم الشرعية والعقلية ، إيمان يقينى بالله تعالى ، وبالنبوة ، واليوم الآخر ، فهذه الأصول الثلاثة من الإيمان كانت قد رسخت في نفسي ، لا بدليل معين محرر ، بل بأسباب وقرائن ، وتجارب لا تدخل تحت الحصر تفاصيلها » .

ويوضح الغزالي أن وصوله إلى طريق الأمن واليقين لم يكن بنظم دليل وترتيب وكلام ، بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر :

« وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف ، فمن ذلك النور ينبغى أن يطلب الكشف ، ومادام الأمر للذوق والكشف ، فطريق الصوفية إذن مفتاحها هو استغراق القلب بالكلية بذكر الله وآخرها الفناء بالكلية في الله » .

والمبدأ الثانى في فكر هؤلاء المتصوفة من العشاق أن العاطفة

(١) المنقذ من الضلال - للغزالي تقديم الدكتور / عبد الحليم محمود .

لا العقل هى السبيل للوصول إلى الله ، يقول الغزالي « كان ذلك أول حال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حين تبتل ، حين أقبل إلى غار حراء حين كان يخلو فيه بربه ويتعبد ، حتى قالت العرب : إن محمداً عشق ربه » .

وهكذا كان الحب الجسدى فى آثار هؤلاء العشاق طريقاً إلى الحب الإلهى ، إذ الجمال فى الخليقة مرآة جمال الله ، وهؤلاء يذهبون فى شرحهم لخلق الكون إلى أن الأصل فيه الجمال الإلهى ، وذلك أن الصفة الجوهرية فى الجمال هى أنه بطبعه ميال إلى الظهور والإيحاء بنفسه . وهذا هو الباعث لدى الجمال الأقدس أن يخلق ليعرف بهم ، ويعتمد الصوفية فى هذا على الحديث القدسى : « كنت مخفياً فأردت أن أعرف فخلقت الخلق ، فبى عرفونى » .

ولما أراد ذو الكمال المطلق والجمال الاسمى أن يعرف ، كان لابد أن يعرف بمخلوقات فيها نقص وفيها شر ، ليبدل نقصهم على كماله وخيره كما يدل الظلام على النور ، وقد بقيت بالضرورة فيهم لمحات من أنوار مشوبة بألوان ظلمات ، وهذه اللمحات هى مرآة النور المطلق الذى لا لون له ، وتنأى الخلائق عن الله بمقدار انغماسها فى المادة وظلماتها ، لأنها تبعد بذلك عن النور المطلق المتصف به وأجب الوجود . وتقرب من الكمال بمقدار بعدها عن ظلمات المادة وتعلقها بمظاهر الجمال والخليقة ، وهذا الجمال هو مرآة ذى الجلال ، حتى ترقى بالحب الإلهى إلى الفناء فى الذات الإلهية ، وتعود بذلك إلى أصلها الذى صدرت عنه . فالجمال الإلهى هو الأصل فى الخليقة ، والفناء فيه عن

طريق المحبة هو طريق الارتقاء إلى العلم الأقدس ، ومن أسباب المحبة التأمل في جمال الوجود ، إذ أن ذلك الجمال فيض من جمال واجب الوجود .

فهؤلاء العشاق من المتصوفة - بتأملهم في جمال الخلق - يتقربون إلى جمال الحق ، وبطول تأملهم فيه ، يعترتهم تلك الشعور الفياض ، الذى يستغرقون فيه - حتى يصلوا إلى حالة الوجود - ويغيبون عن وعيهم الحسى ويعترتهم من الهيام بالله ما يرقصون فيه طرباً لاهجين بذكر الله أو مرددين اسمه على لسانهم في حلقات الذكر .

* * *

وهذه النماذج المختارة من قصائد الحب الإلهى عند أشهر العشاق والمتصوفة وأصدقهم تجربةً ووجدًا ذات قيمة فنية وإنسانية رفيعة ، حتى وإن لم نستطع الوصول إلى أعماق معانيها ودلالاتها الخبيئة . فهى أولاً تجارب حياتية صادقة لدى هؤلاء المتصوفة الحقيقيين الذين لم يكونوا في طريقهم أو مذهبهم بأدعياء . ومن شأن هذه التجارب الصادقة أن تثرى الحياة إذا انسكب تصويرها والتعبير عنها من خلال أقلام ذوى المواهب والقدرة ، وفي هذا يفرق الأدب الصوفى عن أدب الصنعة والتكلف ، وعن أدب التكسب والارتزاق الذى منى به الشعر الغنائى العربى ، فاستنفدت طاقات شعرية خلابة أو كاد يستنفدها ، كانت جديرة بما هو أرقى وأسمى من عطاء الفن والخلود لو انصرفنا إلى تصوير ما عانته من تجارب الحياة والعصر ، مخلصاً في التعبير عن هواجس النفس وهموم الذات وتجارب الوجدان . ولقد

كان الصدق دعامة الأدب الصوفي في عصوره الأصلية - قبل أن يدركه التقليد على أيدي فقراء الموهبة وفاقدى التجربة - وكان صدق التناول فيما بين الشاعر ونفسه سبيلا إلى التجويد في التعبير عن حميّا هذه التجارب ونضج تصويرها الفنّي .

ومن هنا ، يلاحظ المتأملون في هذه النماذج الرفيعة ، أن أدب الصوفية في شعرهم ونثرهم - يخفى دلالتة الايجابية المستترة على الرغم من مظهره السلبي الخادع وطابع تشاؤمه الموغل في الحزن . ذلك أن هذا الأدب - في مجموعه - كان هروبًا من الحياة وانسحابًا من الواقع المثقل بالأسى والظلم والتخلف ، ولكن المتصوفة عرفوا كيف يضيفون على هذا الهرب أبعادًا تتجاوز مجرد الشكوى والأنات ، وحزن الضعف والتوانى - عندما هربوا بفكرهم إلى الطبقات العليا من أجواء الروح المتعالية والنفس المتسامية والخيال الحرّ الطليق .

صحيح أن هؤلاء الصوفية - من العشاق - قد عزفوا عن نشدان السعادة في هذه الحياة ، لأنهم يائسون من الظفر بها في الحياة الدنيا ، واتجهوا مخلصين إلى نشدان سعادتهم في العالم الآخر داعين إلى التعجيل بالرحيل من هذه الدنيا عازفين عن كل ما تحفل به من ماديّات ومتع موقوته ، ولكنهم في تبرير مسلكهم هذا قد صوروا - في صدق وروعة وأصالة - ما حفلت به عصورهم من شرور ومآثم ، وكانوا في هذا المجال أعمق إدراكًا وأقوى دلالة من سواهم من الكتاب والشعراء الذين جاروا عصورهم ومالّثوا المستبدين بها ، وتستروا على ما زخرت به من زيف وطغيان ، وقد كان هذا الطغيان في أكثر حالاته طغيان

سلطان المال في تلك المجتمعات التي استبد فيها سلطان الفرد كما انسحقت الغالبية تحت رحي الإقطاع فتلاشت مواهب كثيرة ، وتبددت طاقات خلاقة ووئدت أصوات كانت تُبشّر بانطلاقات جديدة عارمة ، وانطمست معالم الرأي السليم والفكر الناضج .

لهذا ، فلن نجد في تاريخ الآداب الإسلامية هجاء للملوك والمستبدين أشد مما صدر عن الصوفية ، ولا ضيقاً بالمال وعباده والمستعبدين للناس عن طريقه كما نجد في أشعار الصوفية وأدبهم كله . إلى جانب ما قضوا به على الأثرة وحبّ الذات فيما صوروا ودعوا ، فالحب عندهم - يجب أن يتسع مجاله لحب الإنسان وخدمته والثناء له وهدايته ، دون بغض لأحد أو انتقام من أحد . ولعل « الحلاج » - الذي عاش في القرن الثالث الهجري - أكثر من التصقت به هذه الإيجابية بين الصوفية ، وتتفق الروايات القديمة في سوقها لأخباره على الإشارة إلى دوره البارز في عصره حين دعا إلى مذهب سياسي وروحي يقوم على فقه معين ورياضيات صوفية تتميز كلها بالتطرف والشدة والإصرار على الوصول إلى الهدف مستهيناً بالعقبات ولو بلغت الموت نفسه ، وحاول أن يجد له أنصاراً بين الفقراء والطوائف المختلفة والمعارضين للدولة العباسية دون جدوى .

وفي أثناء القحط والمجاعة وخطر الدولة الفاطمية - على الدولة العباسية الموشكة على السقوط أمامها - وارتفاع الأسعار ، وكسر السجون وإحراق الجسور وسقوط الوزارة وعزل الخلفاء ، وجد الوزير حامد بن عباس أن قتل الحلاج قد يشغل الناس ويخفف من

التوتر الاجتماعي والسياسي ويلقى الرعب في قلوب المعارضين ،
وانتهى الأمر بالحكم على الحلاج بالإعدام ، ضرب ألف جلدة ثم قطعت
أطرافه الأربعة وضربت عنقه وأحرقت جثته ثم ذرى رماده في دجلة
وحمل رأسه إلى خراسان حيث كان له فيها أصحاب وأتباع
ومريدون^(١).

يقول الحلاج في وصف موعد حب :

لى حبيب أزور فى الخلوات

حاضر غائب عن اللحظات

ما ترانى أصغى إليه بصرى

كى أعى ما يقول من كلمات

كلماتٍ من غير شكلٍ ولا نقطٍ

ولا مثل نغمة الأصواتِ

فكأنى مخاطبٌ كنتَ إيَّاه

على خاطرى ، بذاتى لذاتى

حاضرٌ غائبٌ قريبٌ بعيدٌ

وهو لم تحوهِ رسومُ الصفاتِ

هو أدنى من الضمير إلى الوهم

وأخفى من لائح الخطراتِ

ويقول الحلاج — وهو معنى انتهبه من بعده كثير من الشعراء ،

(١) ديوان الحلاج « المقدمة » تحقيق الدكتور / كامل مصطفى الشبيبي (بغداد) .

وأداروه على محاور عدة في الغزل الحسّي ، بما يخرجّه عن طابعه
الصوفيّ الأصيل :-

أنا من أهوى ، ومن أهوى أنا
نحن روحان حللنا بدننا
نحن ، مذكناً على عهد الهوى
نضربُ الأمثال للناس بنا
فإذا أبصرتني أبصرتّه
وإذا أبصرتّه أبصرتنا
أيها السائل عن قصتنا
لو ترانا لم تفرق بيننا
روحه روحى وروحي روجه
من رأى روحين حلت بدننا

ومن الأشعار المنسوبة إلى الحلاج ، والعميقة الدلالة في الإبانة من
مذهبه وأسلوبه في تمثيل الحب الإلهي ، مقطوعة ذاعت شهرتها على
الأسنة والأقلام ونسب بعض أبياتها إلى شعراء آخرين من شعراء
العصر العباسي وأصبح جزءاً من تراثه الغنائي .

يقول فيها الحلاج :

والله ما طلعت شمس ولا غربت
إلا وحبك مقرونٌ بأنفاسي
ولا جلستُ إلى قومٍ أحدثهم
إلا وأنت حديثي بين جُلّاسي

ولا ذكرتُكُ محزوناً ولا فرحاً
وإلا وأنت بقلبي بينَ وسواسي
ولا هممت بشرب الماء من عطش
إلا رأيت خيالاً منك في الكاس
ولو قدرتُ على الإتيان جئتكمو
سعيًا على الوجه أو مشيًا على الراس
ويا فتى الحى إن غنيت لى طرباً
فغنّ وارحمتاً من قلبك القاسى
ما لى والناس كم يلحوننا سفهاً
دينى لنفسى ودين الناس للناس

ويبدو أن المستشرق الفرنسى ما سينيون هو صاحب الفضل فى إحياء ذكر الحلاج منذ بداية القرن العشرين ، عندما نشر ديوانه وكتابه الهام الطواسين والنصوص التى دارت حوله ، ونبّه إلى أهمية الحلاج من خلال رسالته عنه التى أسماها « عذاب الحلاج » ومقاله الهام الذى أسماه « المنحنى الشخصى فى حياة الحلاج » حيث تحدث عن عظاته ومواجهه وبثه لآراء الإصلاحية واتصاله ببعض وجوه الدولة العباسية وجمع الفقراء من حوله ، مما أدى إلى نهاية الحلاج المأساوية جزاء فكره وثوريته ، وهو المعنى نفسه الذى أخذ به الشاعر الراحل صلاح عبد الصبور حين كتب مسرحيته الشعرية عن مأساة الحلاج ، جاعلاً منه داعية ورمزاً للثورة والتمرد ونصيراً للفقراء والمعدمين ، وشهيداً من شهداء الكلمة والإيمان بالحرية .

يقول صلاح عبد الصبور على لسان الحلاج :
أراد الله أن تجلى محاسنه وتستعلن أنواره
فأبدع من أثر القدرة العليا مثلاً صاغه طينا
وألقي بين جنبيه ببعض الفيض من ذاته
وحلاه وزينه ، فكان صنيعة الإنسان
فنحن له كمرأة ، يطالع فوق صفحتها
جمال الذات مجلوا ، ويشهد حسنه فينا
فإن تصفُّ قلوب الناس ، تأنس نظرة الرحمن
إلى مرأتنا ، ويديم نظرتة ، فتحيينا
وإن تكدر قلوب الناس يصرف وجهه عنا
ويهجرنا ويجفونا
وماذا يفعل الإنسان إن جافاه مولاه ؟
يضيق الكون في عينيه ، يفقد ألفة الأشياء
تصير الشمس في عينيه أذرة من النيران
يلقى ثقلها المشاء
على وجه السما والأرض ألوانا من اللهب
ويضحى البدر دائرة مهشمة رمادية
من القصدير ميتة وملقاة على بيداء
فقد جفت عيون الناس ، أضحت نقطة سوداء
وتذوى أذرع الأشجار ، تلقى حملها للأرض
وتدفنه كمجھضة تكفن عارها في الطين

ويمشى القحطُ في الأسواقِ ، يجبى جزية الأنفاس
من الأطفال والمرضى
حقيقته بلا قاع ، فلا تُملاً إذ تعطى
ورغبته بلا رى ، فلا تسكت أن تسأل
وخلف القحطِ ، يمشى تحت ظل البيرق المُسدل
جنودُ القحطِ ، جيش الشرِّ والنقمة
خلائقهم مشوهةٌ ، كأنَّ الذيلَ فوق الرأسِ
يقود خطاهم إبليس وهو وزيرُ مُلكِ القحطِ
وليس القتل والتدجيلُ والسَّرْقُ
وليس خيانةُ الأصحابِ والمَلَقُ
وليس البطشُ والعدوانُ والخرقُ
سوى بعضِ رعايا القحطِ ، جند وزيره إبليس
تعالى الله ، قد يأنفُ أن ينظر في مرآتنا ذاته
فيصرف وجهه عنا ،
فكيف إذن نُصَفَى قلوبنا المُعْتَمُ
ليستقبل وجه الله ، يستجلى جمالاته
نُصَلَّى ، نقرأ القرآن ،
نقصد بيته ، ونصوم في رمضان
نعم ،
لكن هذى أول الخطوات نحو الله
خطى تصنعها الأبدان

وربّي قصده للقلب
ولا يرضى بغير الحبّ
تأمل ، إن عشقت ألسّت تبغى أن تكون شبيهه محبوبك
فهذا حبنا لله
أليس الله نور الكون !
فكن نوراً كمثّل الله
ليستجلى على مرآتنا حسنه

وحين يقف الحلاج بين يديّ جلّاديه من قضاة عصره - الذين باعوا
ضمائرهم للسلطان وأعمتهم الغواية عن رؤية الحق ومعايينته
فأصدروا حكمهم من قبل أن تبدأ المحاكمة - يهدر صوت الحلاج في
مسرحية صلاح عبد الصبور ملوحاً في وجه هؤلاء الذين يحاكمونه
بأنهم ليسوا قضاته ، ولذا فلن يدافع عن نفسه ضدّ اتهامه بإفساد
صعاليك العامة .

يقول الحلاج :

أنا رجلٌ من غمارِ الموالى ، فقير الأرومة والمنبّتِ
فلا حسبي ينتمى للسماءِ ، ولا رفعتنى لها
ثروتي
ولست كآلافٍ من يولدون بآلاف أيامِ هذا الوجود
لأن فقيراً بذات مساءٍ سعى نحو حضنٍ فقيرة
وأطفاً فيه مرارة أيامه القاسية
نموت كآلاف من يكبرون ، حين يقتاتون خُبزَ

الشموسُ
ويُسْقَوْنَ ماءَ المطرِ
وتلقا همو صبيةً يافعين حزاني على الطُرقاتِ
الحزينة
فتعجب كيف نمواً واستطالوا وشبت خُطاهُم
وهذي الحياةُ ضنينةُ
تسكَّعت في طُرقاتِ الحياةِ ، دخلت سراديبها
المُوحشاتُ
حجبت بكفى لهيب الظهيرة في الفلوات
وأشعلت عيني ، دليلى ، أنيسى في الظلمات
وذوّبت عقلى ، وزيت المصابيح ، شمس النهار
على صفحات الكتب
لهثت وراء العلوم سنين ، ككلب يشم روائح صيد
فيتبعها ، ثم يحتال حتى ينال سبيلاً إليها
فيركض ، ينقض
فلم يسعد العلم قلبى ، بل زادنى حيرة واجفة
بكيت لها وارتجفت
وأحسست أنى وحيد ضئيل كقطرة طل ، كحبة
رمل
ومنكسر تعس ، خائف مرتعد
فعلمى ما قادنى قط للمعرفة

وهبنى عرفت تضاريس هذا الوجود
مدائنه ، وقراه ووديانه ، وذراه
وتاريخ أملاكه الأقدمين
وأثار أملاكه المحدثين
فكيف بعرفان سر الوجود ، ومقصده ، مبتدا
أمره، منتهاه
لكى يرفعَ الخوفَ عنيّ، خوفَ المنون، وخوفَ
الحياة، وخوفَ القدرِ
لكى أطمئن .
سألت الشيوخ ، فقليل :
تقربُ إلى الله ، صلِّ ليرفعَ عنك الضلال ، صلِّ
لتسعدُ
وكنت نسيْتُ الصلاة ، فصلَّيتُ لله ربَّ المنون ،
وربَّ الحياة ، وربَّ القدرِ
وكان هواءُ المخافةِ يَصْفِرُ في أعظمي ويثزُّ كريحِ
الغلا
وأنا ساجدٌ راکعٌ أتعبدُ
فأدرکتُ أنني أعبدُ خوفي لا الله
كنت به مشركًا لا موحد
وكان إلهي خوفي
وصليتُ أطمعُ في جنته

ليختالَ في مُقلَّتِي خيالُ القصورِ ذواتِ القبابِ
أسمعُ وسوسةَ الحليِّ ، همسَ حريرِ الثيابِ
وأحسستُ أني أبيعُ صلاتي إلى الله
فلو أتقنتُ صنعةَ الصلواتِ لزادَ الثمنُ
وكنتُ بهِ مشرِكًا لا مُوحِدُ
وكان إلهي الطمعُ
وحيرَ قلبي الطمعُ
تُرى ، قُدِّرَ الشُّركُ للكائناتِ
وإلا فكيفَ أصلى له وحده
وأُخلى فؤادي عما عداه
لكي أنزعَ الخُوفَ عن خاطري لكي أطمئن
لكي أطمئن

في هذه المونولوجات الطويلة على لسان الحلاج ، يتضح مدى
استيعاب صلاح عبد الصبور لأدق أسرار التجربة الصوفية ، عند كبار
العشاق والمحبين ، من نفى للقدرة على المعرفة بواسطة العقل ، فالقلب
هو المدخل والطريق ، ورفض لفكرة أن تكون العبادة قائمة على مجرد
الخوف أو الطمع ، حتى يكون أساسها المحبة والتوجه الخالص ،
والذوبان والفناء في المعشوق ، عندئذ ينتزع الخوف من المحب وتسكنه
الطمأنينة ويتحرر من الرغائب والشهوات . ويستمر صوت « الحلاج »
يفيض بالتحدي ويبتل بالمزيد من الشجون ، وينبئ بلغة الإفضاء
ومكاشفة الأسرار :

كما يلتقى الشوقَ الصحارى العطاشِ ، بشوقِ
السحابِ السخى
كذلك كانَ لقائى بشيخى
أبى العاص عمرو بن أحمد ، قدَّسَ تُربَّتَه ربُّه
وجمَّعنا الحبُّ ، كنت أحب السَّؤال ، وكان يُحب
النَّوال
ويُعْطى ، فيبتلُ صخرُ الفؤاد
ويُعْطى ، فيخضرُ غصْنى
ويُعْطى ، فيزهر نُطقى وظنِّى
ويخلعُ عني ثيابى ، ويلبسنى خِرْقَةُ العارفينِ
يقولُ هو الحب ، سرُّ النجاة ، تعشق تفرز
وتُفنى بذاتِ حبيبك ، تصيحُ أنتَ المصلِّى ، وأنتَ
الصلاة وأنتَ الديانةُ والربُّ والمسجدُ
تعشَّقتُ حتى عشَّقتُ
تخيلتُ حتى رأيتُ
رأيتُ حبيبى ، وأتحفنى بكمالِ الجمالِ ، جمالِ
الكمالِ
فأتحفته بكمالِ المحبة
وأفنيْتُ نفسى فيه

* * *

هذه السطور العامرة بنفحات الوجد وحرارة المعانة وفرح المعاينة والانكشاف هي دليل على امتداد خيوط التجربة الصوفية في العشق الإلهي حتى يومنا هذا ، وكيف أن التألق في التعبير عنها رهن بتوافر الصدق الشعوري الذي يتوهج من خلال قيم التعبير ، لتكتمل لهذه التجربة أبعادها في الحس والتذوق وآثارها في القلب والوجدان .

ولسوف تستمر هذه الخيوط والروافد ، مستمرة وممتدة ، في رحلة الإنسان مع الكون ، ما بقى هذا الإنسان ، وما استمر انخلاءه وانخطافه نحو المجهول ، واحتضانه لطمأنينة الإيمان واليقين ، وتوجهه بالمحبة الكاشفة التي تنفض عنه الخوف وتملاً زوايا نفسه بالخشوع ، وتفجر هذا الشعر الأصيل النبيل ، المتوهج بعطاء الرحلة ، المثقل بمخاطر الترحال .

فمادام المحبوب هو الحق ، فإن العارف يظل دائماً المشاهدة له وكلما ازداد مشاهدة زاد هياما ووجداء فالاشتياق يهيج باللقاء ، ويُظلمئه الوصال ، وتشعله المعاينة ، وكلما اجتمع العاشق بمحبوبه أدرك أنه لا يشبع من مشاهدته ولا يروى ظمأه منه ، فكلما نظر إليه زاد وجدًا به وشوقاً مع حضوره معه .

ومن عجب أنى أحنُّ إليهمو
وأسأل شوقاً عنهمو وهمو معي
وتبكيهمو عيني وهم في سوادها
وتشتاقهم نفسي وهم بين أضلعي

تعاظمني ذنبي

للإمام الشافعي

« تعاظمني ذنبي ، فلما قرنته
بعفوك ربّي ، كان عفوك أعظماً
ومازلت ذا عفو عن الذنب ، لم تزل
تجود وتعفو منه وتكرما »

« هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس ، يتصل نسبه
بنسب الرسول الكريم ، ولد بغزة ، ثم حمل إلى مكة وهو ابن سنتين ،
«وَحُبِّبَ إِلَيْهِ الْعِلْمُ مِنْذُ صَبَاهُ فَجَالَسَ الْعُلَمَاءَ وَأَخَذَ عَنْهُمْ ، ثُمَّ وَقَدَّ عَلَى
الإمام مالك في المدينة وحفظ الموطأ ، ثم ارتحل إلى اليمن فالعراق ينشر
علم الحديث وفقه السنة ويستخرج الأحكام ثم جاء إلى مصر سنة
مائة وتسع وتسعين هجرية، وصنّف فيها مذهبه وألّف في علم
الأصول ، واعترف له الناس بالإمامة وأصبح أحد الأئمة الأربعة
المجتهدين . وتوفي بمصر سنة مائتين وأربع هجرية عن أربع وخمسين
سنة » .

يقول الإمام الشافعي :

إليك إله الخلق أرفعُ رغبتى
وإن كنتُ يا ذا المن والجود مجرماً
ولما قسا قلبى وضّقتُ مذهبى
جعلتُ الرّجا منى لعفوِكَ سلماً
تعاظمنى ذنبى فلما قرنته
بعفوك ربّى كان عفوك أعظماً
ومازلتُ ذا عفو عن الذنب لم تزل
تجود وتعفو منةً وتكرماً
ولولاك ما يقوى إبليس عابداً
وكيف وقد أغوى صفيك آدماء
فإن تعف عني تعف عن متمرّد
ظالم غشوم لا يزائل مأتماً
وإن تنتقم منى فأسئتُ بآيسٍ
ولو أدخلتُ نفسى بجُرمى جهنماً
فجرمى عظيمٌ من قديمٍ وحادثٍ
وعفوك يأتى العبدَ أعلى وأجسماً
تعاظمنى ذنبى ، فأقبلت خاشعاً
ولولا الرضا ما كنت ياربّ منعماً

حوالى فضلُ الله من كلِّ جانب
ونورٌ من الرحمن يفتشُ السَّما
وفي القلب إشراقُ المحبِّ بوصله
إذا قارب البشرى وجازَ إلى الحمى
حوالى إيناسٌ من الله وحده
يُطالعنى فى ظلمة القلب أنجما
أصون ودادى أن يدنسه الهوى
وأحفظُ عهدَ الحبِّ أن يتثلما
ففى يقظتى شوقٌ وفى غفوتى مُنى
تلاحق خطوى نشوة وترنما
ومن يعتصم بالله يسلم من الورى
ومن يرجئه هيهات أن يتندما
إليك إله الخلق ، أرفع رغبتي
وإن كنتُ ياذا المنِّ والوجودِ مجرما

هوانا حجازى

لأبى حمزة الخراسانى

أراك وبى من هييتى لك وحشة
فَتُونَسْنى بِاللطفِ منك وبالعطفِ
وتُحيى مُحباً أنت فى الحب حتفه
ومن عجب كُونُ الحياة مع الحُتْفِ

« هو أبو حمزة الخراسانى من كبار أعلام القرن الثالث الهجرى ،
أقام بنيسابور وصاحب الجنيد والخراز وأبا تراب ، وذاعت له شهرة
واسعة بفضل علمه وورعه وتقاه ، توفى سنة مائتين وتسعين هجرية ،
وله قصائد تفيض بصدق العاطفة الدينية وسُمِّى الحب الإلهى ، من
بينها هذه المقطوعة التى أنشدها فى معنى الشهود والرضا بالحبيب » .

يقول أبو حمزة الخراساني :

أهابك أن أبدي إليك الذي أخفى
وسرّي بيدي ما يقول له طرقي
نهاني حيائي منك أن أكتُم الهوى
وأغنيّتي بالفهم منك عن الكشف
تلطّفت في أمري فأبديت شاهدي
إلى غائبي واللطف يدرك باللفظ
تراءيت لي بالغيب حتى كأنما
تبشّرني بالغيب أنك في الكف
أراك وبى من هيبتى لك وحشة
فتؤنسني باللطف منك وبالعطف
وتحيى محباً أنت في الحب حتفه
ومن عجب كون الحياة مع الحنف
فيا شوق رفقا بالذي أنت مشعل
فلوعتك الحرى تجل عن الوصف
ويا قلب هذا موعد لمتيم
تفيض دموع العين منه ، ولا تكفى
ويا نفس هبت من رياض أحبتي
نسائم جادت حُفلاً من شذا العرف

تُراوحنَا رِيًّا الصَّبَا فِي هُبُوبِهَا
فَأَنْشَقُّ مِنْهَا مَا يُقْبَلُ طَرَفِي
هَوَانَا حِجَازِي وَنَجْدُ هِي الْمَنَى
وَإِصْبَاحُنَا الْمَأْمُولُ يَخْفَى وَلَا يُخْفَى
مُعْنَى وَمَا بَيْنَ الْأَضَالَعِ سُورَةٌ
غَوَائِلُهَا تَرْتَجُ فِي هَزَةِ الرَّجْفِ
وَمَاضٍ لِمَا أَسْعَى إِلَيْهِ ، كَأَنَّنِي
أَسِيرٌ عَلَى ظِلِّي وَأَسْعَى إِلَى حَتْفِي
فَلَوْ أَبْصَرْتُنِي أَعَيْنٌ مُسْتَهَامَةٌ
لَفَاضَتْ مَآقِيهَا دَمًا سَاخِنَ الْوُكُوفِ
وَكَيْفَ أَهَابُ الزَّحْفَ أَوْ أَرْهَبُ السُّرَى
إِذَا كَانَ مِنْ أَهْوَاهِ مَوْلَايَ فِي الزَّحْفِ
أَمْوَلَايَ صَبْرُنِي عَلَى مَا أَصَابَنِي
فَأَنْتَ الَّذِي تَكْفِي وَأَنْتَ الَّذِي تُعْفِي
وَلَا تَجْعَلُنْ حَبْلَ الْعَذَابِ مُخْلَدًا
وَلَا كَالَّذِي عَذَّبَتْ قَارُونَ بِالْخُسْفِ
وَهَا أَنَا أَخْفَى الدَّمْعِ وَالسَّرِّ بَيْنَ
بُوجْهِ ، وَتَأْبَى الْمُقْلَتَانِ سِوَى الذَّرْفِ

يُبَيِّن لِسَانِي عَنْ فَوَادِي وَرَبِّمَا
أَسْرَ لِسَانِي مَا يَبُوحُ بِهِ طَرْفِي (١)

(١) هذا البيت والأبيات الثلاثة السابقة له تروى - مع اختلاف في السياق - للشاعر العباس بن الأحنف .

غريب الدار

للبرعى

« إلهى أَلُنْنى عَثَرْتى ، وتولُنْنى
بعفُو ، فإنَّ النَّائِبَات لها عُنْفُ
خلعتُ عذارى ثم جئتُك عامدا
بِعذرى ، فإن لم تعفُ عَنّى ، فمن يعفو »

« عاش الإمام عبد الرحيم البرعى فى القرن الخامس الهجرى ،
ويقال إنه أول من توله فى حب الرسول الكريم ، وشعره يدل على صدق
العاطفة فى الحب ، مع سهولة ورقة فى التعبير .
والبرعى يمنى الأصل ، حجَّ عدة مرات ، وتوفى فى الطريق من مكة
إلى المدينة ودفن بوادى البرعى - وله ديوان مجموع مطبوع يضم
أشعاره فى الحب الإلهى والمدائح النبوية » .

يقول البرعى :

عسى من خفى اللطف سبحانه لطفُ
بعطفة برٍّ ، فالكريم له عطفُ
عسى من لطيف الصنع نظرة رحمة
إلى من جفاه الأهل والصحب والإلفُ
عسى فرجٌ يأتى به الله عاجلاً
يسرُّ به الملهوفُ إذ غمه اللهفُ
عسى لغريب الدار تدبير رافةٍ
وبرٍّ من البارئ إذا العيش لم يصفُ
عسى نفحةً فرديّة صمديّة
بها تنقضى الحاجات والشمل يلتفُ
فإنى والشكوى إلى الله ، كالذى
رمى نفسه فى لجةٍ موجّها يطفو
فمن محن الأيام قلبى معذبُ
ألم بروحى قبل حتفِ الفناء حتفُ
وإنى لأرضى ما قضى الله لى ولو
عبدتُ على حرفٍ لأزوى بى الحرفُ
ولم أبئن حُسن الظنِّ فى سيدى على
شفا جُرفٍ هارٍ فينهار بى الجرفُ

ولكن دعوت الله يكشف كربتى
فما كربة إلا ومنه لها كشف
فكم بسطت كف بسوء تريدنى
فقال لها الكافى ألا غلب الكف
وكم هم صرف الدهر يصرف نابه
على ، فجاء الغوث وانصرف الصرف
ولم أعتصم بالله إلا ومعدلى
من البرّ ظلا فى رضاه له وكف
وإنى لمستغن بفقرى وفاقتى
إليه ، ومُستقو وإن كان بى ضعف
وفى الغيب للعبد الضعيف لطائف
بها جفت الأقلام وانطوت الصحف
فكم راح روح الله فى خلقه ، وكم
غدا قبل أن يرتدّ للناظر الطرف
بقدره من شدّ العرى وبنى السما
طرائق فوق الأرض فهى لها سقف
ومن نصب الكرسي والعرش ، واستوى
على العرش والأملاك من حوله حفوا
ومن بسط الأرضين فهى بلطفه
لحيّ بنى الدنيا وميتهم ظرف

وألقى الجبال الشمَّ فيها رواسياً
 فليس لها من قبل موعدها نسفُ
 وألبسها من سندس النبت بهجةً
 من القطر ما صنف يشابهه صنفُ
 وسخر من نشر السحاب لواقحاً
 إذا انتشرت درت سحائبها الوطفُ
 وأنشأ من ألفافها كل جنة
 بها الأبُّ والريحانُ والحَبُّ والعصفُ
 ويعلم مسرى كل سارٍ وساربٍ
 وما أعلنوه من خطايا وما أخفوا
 ويدري دبيب النمل في الليل إن سعتُ
 وإن وقفت ما أمكن السعى والوقفُ
 ووزن جبال كم مثاقيل ذرةٍ
 وكيّل بحار لا يغيضها نزفُ
 وكم في غريب الملك والملكوت من
 عجائب لا يحصى لأيسرها وصفُ
 فسبحانه إن همَّ وهم لذاته
 بكف وتكليف يلجمه الكفُ
 ولم تُحط الستُّ الجهات بذاته
 فأين يكون الأين والقَبْلُ والخلفُ

إلهى أقلنى عشرتى وتولّنى
 بعفو فإنّ النّائبات لها عفو
 خلعت عذارى ثم جئتكَ عامداً
 بعذرى ، فإن لم تعف عني فمن يعفو
 وأنت غياثي عند كلّ ملمة
 وكهفي إذا لم لي يبق بين الورى كهف
 فكم صاحب رافقته ليكون لي
 رفيقاً ، فأضحى وهو بادي الجفا خلف
 وما شئت من قوم أعدّ صديقهم
 إذا استنصروا زالوا وإن وزنوا خفّوا
 طباع ذئاب في ثياب جميلة
 بصائرهم عمى ، قلوبهم غلّف
 تلوح عليهم للنفاق دلائل
 وبالحك يبدو الزيف والذهب الصّرف
 فحلّ سيدى ما عشت بينى وبينهم
 بحولك حتى يخضع الفرد والألف
 لأنك معروفي ومنك عوارفى
 إذا استتكر المعروف وانقطع العرف
 وأثبت بنور العلم والحلم منك لي
 سعادة حظ ما لمثبتها حذف

وأيد بحرف الكاف والنون حُجَّتِي
ليسبق لي من كلِّ صالحةٍ حرفُ
وأكرم لأجلي من يلينى وأعطينا
من النار أمناً يوم كلِّ له ضعفُ
وصلَّ على روح الحبيب محمدٍ
صلاةً علاها النور وانتشر العرفُ

نار ليلي

للشهرزوري

نارنا هذه ، تضيء لمن يسر
رى بليلى ، لکنها لا تنيل
هذه حائنا ، وما وصل العن
مُ إلينا ، وكلُّ حالٍ تحولُ

« هو عبد الله بن القاسم الشهرزوري - نسبه إلى مدينة شهرزور في كردستان ، شاعر عالم وأديب فقيه ومحدث بارع حكيم . توفى سنة خمسمائة وإحدى عشرة هجرية ، وهو قليل الحظ من الشهرة بين الأدباء والمتأديبين وإن كان عظيم القدر بين عشاق المتصوفة في زمانه .

وهو في قصيدته هذه ينسج على منوال غير مألوف عندما يستهلها بوصف ابتداء الرحلة ، رحلة البحث عن الحقيقة المطلقة ، عن معشوقته.. ليلاه ، ثم يصف أشواق الرحلة وما لاقاه من معاناة ومكابدة ، وصولاً إلى النار التي كان يظنها ستنيل ، حيث الظفر بالوصال ولقاء المحبوب » .

يقول الشهرزورى :

لمعت نارهـم وقد عسعس الليـ
ل ، ومل الحادى ، وچار الدليل
فتأملتـها وفكرى من البيـ
ن عيل ولحظ عيني كليل
وفؤادى ذاك الفؤاد المعنى
وغرامى ذاك الغرام الدخيل
ثم قبلتـها وقلت لصحبى
هـذه النار ليلى فميلوا
فرموا نحوها لحاظاً صحيحاً
ت ، فعادت خواسئاً وهى حول
ثم مالوا إلى الملام وقالوا
خُلب ما رأيت أم تخيل
فتجنبتهـم ومليت إليها
والهوى مركبى وشوقى الزميل
ومعى صاحب أتى يقتفى الآ
نار والحب شأنه التطفيل
فدنوننا من الطلول ، فحالت
زفرات من دونها وعويل
قلت : من بالديار ؟ قالت : جريح
وأسير مكبل ، وقتيل

مالذى جئْتُ تبتغى ؟ قلت : ضيفُ
 جاء يبغي القرى ، فأين النزولُ
 فأشارتُ بالرحبِ دونك فاعقرُ
 ها فما عندنا لضيف رحيلُ
 من أتنا ألقى عصا السيرِ عنه
 قلت : من لى بذا ؟ وكيف السبيلُ
 فحططنا إلى منازل قوم
 صرعتهم قبل المذاق الشَّمولُ
 ومن القوم من يشيرُ إلى وجْه
 — تد تبقى عليه منه القليلُ
 قلت : أهل الهوى سلامٌ عليكم
 لى فؤادٌ عنكم بكم مشغولُ
 لم يزل حافز من الشوق يحدو
 بى إليكم وأحداثاتُ تحولُ
 جئْتُ كى أصطلى ، فهل لى إلى نا
 ركمو هذه ، الغداة سبيلُ
 فأجابت شواهد الحال عنهم
 كلُّ حدٍّ من دونها مفلولُ
 نارُنا هذه ، تضىء لمن يسـ
 رى بليلى ، لكنها لا تُنيلُ
 هذه حالنا ، وما وصل العـ
 سم إلينا ، وكلُّ حال تحولُ

قه دلالاً

لابن الفارض

كُلُّ مَنْ فِي حِمَاكَ يَهْوَاكَ ، لَكِنْ
أَنَا وَحْدِي بِكُلِّ مَنْ فِي حِمَاكَ
يُحْشِرُ الْعَاشِقُونَ تَحْتَ لَوَائِي
وَجَمِيعُ الْمَلَايحِ تَحْتَ لَوَاكَا

« هو إمام المحبين وسلطان العاشقين أبو حفص عمر بن الفارض ولد في القاهرة سنة خمسمائة وست وسبعين هجرية لأسرة شامية الأصل تنتسب إلى مدينة حماة ، ونشأ نشأة دينية في كنف والده ابن الفارض الذي كان أحد كبار علماء الدين في زمانه ، وأتيح له أن يدرس الفقه والحديث وأن يتردد على مجالس العلم ، وأن يدرس طريق الصوفية متنقلاً في سياحته الروحية بين وادي المستضعفين في جبل المقطم وأودية مكة التي قضى بها خمسة عشر عاماً عاد بعدها إلى مصر مفعماً بالأشواق والوجد والهيام حيث كانت وفاته سنة ستمائة واثنين وثلاثين هجرية .

وقد اشتهر شعره لامتلأه بالمعاني الصوفية الرمزية ، ولقوة ما تميز به من أداء وتعبير ، وعاطفة حارة متوهجة ، وخيال مطلق .

يقول ابن الفارض :

ته دلالاً فأنت أهلٌ لذاكا
وتحكّم فالحسن قد أعطاك
ولك الأمرُ فاقضِ ما أنت قاضٍ
فعلى الجمالِ قد ولّاك
وتكلافي إن كان فيه اتتلافي
بك ، عجلٌ به جعلتُ فداكا
وبما شئتُ في هواك اخترنني
فاختباري ما كان فيه رضاكا
فعلى كلِّ حالةٍ أنت مني
بى أولى ، إذ لم أكن لولاكا
وكفاننى عزّاً بحبك ذلي
وخضوعي ، ولست من أكفاكا
وإذا ما إليك بالوصل عزتُ
نسبتى عزّةً وصحّ ولاكا
فاتهامي بالحب حسبي ، وإنى
بين قومي أعدُّ من قتلاكا
لك في الحى هالكٌ بك حى
في سبيل الهوى استلذّ الهلاكا
عبد رُقٍّ مارقٌ يوماً لعنق
لو تخليتُ عنه ما خلاكا

بجمالِ حجبْتِه ، بِجِلالِ
 هامَ واستعذبَ العذابَ هناكا
 وإذا ما أُمِنُ الرجاءَ منه أدنا
 كَ ، فَعَنهُ خَوْفُ الحِجى أقصاكا
 فبإقدامِ رغبةٍ خينَ يغشا
 كَ ، بإحجامِ رهبةٍ يخشاكا
 ذابَ قلبى فأذنَ له يتمنا
 كَ ، وفيه بقيةٌ لرجاكا
 أوامرَ الغمُضِ أن يمرَّ بجفونى
 فكأننى به مُطيعاً عصاكا
 فعسى فى المنامِ يعرضُ لى الوهـ
 مٌ ، فيؤجى سراً إلى سراكا
 وإذا لم تُنعشِ بروحِ التمنى
 رمقى ، واقتضى فنائى بقاكا
 وحمت سُنَّةَ الهوى سُنَّةَ الغمِّ
 ضَ جفونى ، وحرمت لُقيَاكا
 أبُق لى مقلَّةً لعلَّى يوماً
 قبل موتى أرى بها من رآكا
 أين منى ما رمت هيهات ، بل أيبـ
 نَ لعينى بالجفنِ لثمَّ ثراكا

فَبَشِيرِي لَوْ جَاءَ مِنْكَ بِعُطْفٍ
 وَوَجُودِي فِي قَبْضَتِي ، قَلْتُ هَاكَ
 قَدْ كَفَى مَا أَرَى دَمَا مِنْ جُفُونِ
 بِكَ قَرْحِي ، فَهَلْ جَرَى مَا كَفَاكَ
 فَأَجِرْ مِنْ قِلَالِكَ فِيكَ مُعْنَى
 قَبْلَ أَنْ يَعْرِفَ الْهَوَى يَهْوَاكَ
 هَبْكَ أَنْ اللَّاحِي نَهَاةً بِجَهْلٍ
 عَنْكَ قُلْ لِي عَنْ وَصْلِهِ مَنْ نَهَاكَ
 وَإِلَى عِشْقِكَ الْجَمَالُ دَعَاةُ
 فَإِلَى هَجْرِهِ تَرَى مِنْ دَعَاكَ
 أَتَرَى مَنْ أَفْتَاكَ بِالْصَدِّ عَنِّي
 وَلِغَيْرِي بِالْوَدِّ مَنْ أَفْتَاكَ
 بَانْكَسَارِي بِذَلَّتِي بِخُضُوعِي
 بِأَفْتَقَارِي بِفَاقَتِي بِغِنَاكَ
 لَا تَكْنِي إِلَى قَوِي جَلَدٍ خَا
 نَ ، فَإِنِّي أَصْبَحْتُ مِنْ ضَعْفَاكَ
 كُنْتُ تَجْفُو وَكَانَ لِي بَعْضُ صَبْرٍ
 أَحْسَنَ اللَّهِ فِي اصْطِبَارِي عَزَاكَ
 كَمْ صَدُودًا عَسَاكَ تَرْحِمُ شَكْوَا
 يَ ، وَلَوْ بِاسْتِمَاعِ قَوْلِي عَسَاكَ

شنع المرجفون عنك بهجرى
وأشاعوا أنى سلوت هواكا
ما بأحشائهم عشقت فأسلو
عنك يوماً ، دع يهجروا ، حاشاكا
كيف أسلو ومقلتى كلما لا
حَ بریقُ تَلَفَّتْ لِلِقَاكَ
إِنْ تَنَسَمْتُ تَحْتَ ضَوْءِ لُثَامٍ
أَوْ تَنَسَمْتُ الرِّيحَ مَنْ أَنْبَاكَ
طِبْتُ نَفْسًا إِذْ لَاحَ صُبْحُ ثَنَائِيَا
كَ لَعَيْنِي ، وَفَاحَ طِيبُ شَذَاكَ
كُلَّ مَنْ فِي جِمَاكَ يَهْوَاكَ ، لَكِنْ
أَنَا وَحْدِي بِكُلِّ مَنْ فِي حِمَاكَ
فِيكَ مَعْنَى حَلَاكَ فِي عَيْنِ عَقْلِي
وَبِهِ نَظَرِي مُعْنَى حِلَاكَ
فُقْتُ أَهْلَ الْجَمَالِ حُسْنًا وَحُسْنِي
فَبِهِمْ فَاقَّةٌ إِلَى مَعْنَاكَ
يُحْشِرُ الْعَاشِقُونَ تَحْتَ لَوَائِي
وَجَمِيعَ الْمَلَاكِ تَحْتَ لَوَاكَ
مَا ثَنَانِي عَنْكَ الضَّنَى فَبِمَاذَا
يَا مَلِيحَ الدَّلَالِ عَنِّي ثَنَاكَ

لك قربٌ مني ببعدك عنِّي
 وحنو وجدته في جفاكا
 علم الشوق مقلتي سهر اللي
 ل ، فصارت من غير نوم تراكا
 حبذا ليلة بها صيدت أسرا
 ك ، وكان السهاد لي أشراكا
 نساب بدر التمام طيف محيا
 ك ل طرفي ، بيقظتي إذ حكاكا
 فتراءيت في سواك لعين
 بك قررت وما رأيت سواكا
 وكذاك الخليل قلب قبل
 طرّفه حين راقب الأفلاك
 فالدياجي لنا بك الآن غر
 حيث أهديت لي هدى من ثناكا
 ومتى غبت ظاهرا عن عياني
 ألفيه نحو باطني ألفاكا
 أهل بدر ركب سريت بليلا
 فيه بل سار في نهار ضياكا
 واقتباس الأنوار من ظاهري غي
 سر عجيب وباطني مأواكا

يُعْبَقُ الْمَسْكُ حَيْثَمَا ذُكِرَ اسْمِي
مَنْذُ نَادَيْتَنِي أَقْبَلُ فَاكَا
وَيَضُوعُ الْغَبِيرُ فِي كُلِّ نَسَادٍ
وَهُوَ ذِكْرٌ مُعَبَّرٌ عَنْ شَذَاكََا
قَالَ لِي حَسَنُ كُلِّ شَيْءٍ تَجَلَّى
بِي تَمَلَّى فَقُلْتُ قَصْدِي وَرَاكََا
لِي حَبِيبٌ أَرَاكَ فِيهِ مَعْنَى
غُصْرٌ غَيْرِي وَفِيهِ مَعْنَى أَرَاكََا
إِنْ تَوَلَّى عَلَى النَّفْسِ تَوَلَّى
أَوْ تَجَلَّى يَسْتَعْبِدُ النَّسَاكََا
فِيهِ عَوَّضْتُ عَنْ هُدَايَ ضَلَالًا
وَرَشَادِي غِيَا وَسْتَرِي انْهَتَاكََا
وَحَدَّ الْقَلْبُ حُبَّهُ فَالتَفَاتَنِي
لِسْكَ شِرْكٍ وَلَا أَرَى الْإِشْرَاكََا
يَا أَخَا الْعَدْلِ فِي مَنْ الْحَسَنُ مَثَلِي
هَامُ وَجَدًا بِهِ عَدِمْتُ أَخَاكََا
لَوْ رَأَيْتَ الَّذِي سَبَانِي فِيهِ
مَنْ جَمَالٍ وَلَنْ تَرَاهُ سَبَاكََا
وَمَتَى لَاحَ لِي اغْتَفَرْتُ سُهَادِي
وَلَعَيْنِي قُلْتُ هَذَا بِذَاكََا

مريضة الأجفان

لابن عربى

بأبى طفلةً لعوبٌ تهادى
من بناتِ الخدور بين الغوانى
طلعت فى العيان شمساً ، فلما
أقلت أشرقت بأفق جنانى

هو محيى الدين بن عربى ، الحاتمى الطائى الأندلسى . ولد
بمرسية إحدى بلاد الأندلس سنة خمسمائة وستين هجرية ، وانتقل
إلى إشبيلية فى الثامنة من عمره ، فقرأ بها العلوم على مشاهير زمانه ثم
سافر إلى مصر ودمشق وبغداد ، وجاور فى مكة ، وأقام فى بلاد الروم
طلباً للعلم والسياسة ، وتوفى بالشام عن ستة وسبعين عاماً ، ودفن فى
مسجد يحمل اسمه فى سفح جبل قاسيون بعد حياة حافلة جلبت عليه
الكثير من الأنصار والأعداء .

وقد ترك ابن عربى مؤلفات كثيرة أشهرها « الفتوحات المكية » الذى
يعدُّ واحداً من أمهات كتب التصوف الإسلامية ، وديوان شعره
« ترجمان الأشواق » الذى يمتلئ بقصائد فى الغزل يرمز بها إلى المعانى
الروحية والدلالات الصوفية .

يقول ابن عربي :

مرضى من مريضة الأجفان
علّانى بذكرها ، علّانى
هفت الورق بالرياض وناحت
شجّو هذا الحمام مما شجانى
بأبى طفلةً لعوب تهادى
من بنات الخدور بين الغوانى
طلعت في العيان شمسًا ، فلما
أفلت أشرقّت بأفق جنانى
يا طولاً برامة دارسات
كم رأّت من كواعب وحسان
بأبى ثم بى غزال ربيب
يرتعى بين أضلعى فى أمان
ما عليه من نارها فهى نور
هكذا النور مُمخّد النيران
يا خليل عرجا بعيانى
لأرى رسم دارها بعيانى
فإذا ما بلغت الدار حطّا
وبها صاحبي ، فلتبكيانى

وقفنا بى على الطلول قليلاً
 نتباكى ، بل أبك مما دهانى
 الهوى راشقى بغير سهام
 الهوى قاتلى بغير سنان
 عرفانى إذا بكيْتُ لديها
 تُسعدانى على البكا تُسعدانى
 واذكرا لى حديث هند ولبنى
 وسليمة وزينب وعنان
 ثم زيدا من حاجر وزرود
 خبراً عن مراتع الغزلان
 واندبانى بشعر قيس وليلى
 وبمى ، والمبتلى غيلان
 طال شوقى لطفلة ذات نثر
 ونظام ومنبر وبيان
 من بنات الملوك من دار فرس
 من أجل البلاد من أصبهان
 هى بنت العراق بنت إمامى
 وأنا ضدها سليل يمانى
 هل رأيتم يا سادتى أو سمعتم
 أن ضديّن قط يجتمعان

لو ترانا برامة نتعاطى
 أكُؤساً للهوى بغير بنانٍ
 والهوى بيننا يسوقُ حديثاً
 طيباً مطرباً بغير لسانٍ
 لرأيتُم ما يذهبُ العقلُ فيه
 يمينُ والعراقُ معتقانِ
 كذب الشاعر الذى قال قبل
 وبأحجارِ عقله قد رمانى :
 « أيها المنكح الثرياً سُهيلاً
 عمركَ الله كيف يلتقيان
 هى شاميةٌ إذا ما استهلَّت
 وسُهيلٌ إذا استهلَّ يمانى (١)



General Organization of the Alexandria Library & ...
 Publications & Circulation

(١) هذان البيتان منسوبان للشاعر عمر بن أبى ربيعة .

ربّة السّتر

للإمام الصرصرى

سيرى فأنوار أقمار المحامل إن
حار الأدلة في البيداء تهديك
فتحت بالرشد عن عيني بعد عمى
وأسمع السر من قلبى مناديك

« هو الإمام العالم جمال الدين أبو زكريا يحيى بن يوسف
الصرصرى العراقى ، كان ضريباً ، ولكنه كان تقياً ورعاً وأديباً بارعاً
وله ديوان شعرى كبير أكثره مدائح فى الرسول الكريم ، مات على أيدي
التتار - عند سقوط بغداد - سنة ستمائة وست وخمسين هجرية » .

يقول الإمام الصرصرى :

ياربّة السّتر لا انجابت غواديق
عن جوّ مغّناك أو يخضر واديك
وأنت يا عذّبات البان ، لا برحت
تهيجُ أشواقنا ألحانُ شاديك
وماس من كلّ غُصنٍ منك من طرب
عطفت وتّهت دلالاً في تهاديك
ويامياه الحمى لازلت طيبة
يُروى بشرب الزّلال العذب صاديك
ويا نسيم صبا نجد لقد عرفت
روحى بمسراك وهناً عرف مهديك
وياالينا لله عيش هوى
مع البدور تقضى فى دأديك
ويا فوارط أيامى بخيف منى
لو كان يُفدى زمان كنت أفديك
ويا رسائل وجد لا أبوح بها
إلى الأحبة عندي من يؤدّيك
أخفيك عن عذلى صوناً وتكرمة
بل المدامع والأنفاس تُبديك

ويا ركب الحجاز القُودَ ، لانتقبت
 من السرى أبداً أخفافاً أيديك
 ولا عدلتِ عن النهجِ القويمِ ، ولا
 مالت إلى غير أحبّابى هواديك
 ونلتِ ما شئتِ من وردٍ ومن كلالٍ
 ولا نبا السمعُ عن تغريدِ حاديك
 كمُ ذا التّمادى، ذرى التّعليلِ وابتدرى
 إلى الحمى ، فعنائى فى تماديك
 سبرى فأنوار أقمار المحامل إن
 حار الأدلةُ فى البيداء تهديك
 ويا قبابَ حمى سلّع حويّت على
 رقىّ بما أسلفت عندى أياديك
 فتحتِ بالرشدِ عن عينيّ بعد عمى
 وأسمع السر من قلبى مُناديك
 حقٌّ علىّ أوالى من به اعتلقتُ
 أسبابه وأُعادى من يُعاديك
 إنى وإن تك أضحت عنك نازحةً
 دارى لأرعى بظَهْرِ الغيبِ واديك
 لا زال سُكانك القُطانُ فى دعةٍ
 وفاز رائحك السّارى وغاديك

وَأَنْتَ لَا تَجْزَعِي يَا نَفْسُ مِنْ بَدْعِ
مُضْلِيَةٍ وَضِيَاءِ اللَّهِ هَادِيكِ
أَجَارِكِ اللَّهُ لَوْلَا دَرْعُ سُنَّتِهِ
لَكَانَ سَهْمُ الْهَوَى الْفَتَّاكَ يُرْدِيكِ

وارحمنا للعاشقين

للسهروردي

« لا ذنب للعشاق إن غلب الهوى
كتمانهم ، فنما الغرامُ ، فباحوا
سمحوا بأنفسهم وما بخلوا بها
لما دروا أن السماح ربــــاحُ »

« هو شهاب الدين عمر السهروردي ، ولد في سهرورد وقرأ كتب الدين والحكمة وأقام في مراغة وبغداد وحلب ، حيث كان مقتله بأمر السلطان صلاح الدين بعد أن نسب البعض إليه فساد المعتقد ، ولتوهم صلاح الدين أن السهروردي يفتن ابنه بالكفر والخروج على الدين - وكان مقتله بقلعة حلب سنة ستمائة وخمس وستين هجرية - مع أنه كان من كبار المتصوفة في زمانه ومن أفاقه علماء عصره بأمور الدين والفلسفة والمنطق والحكمة ، ويسمى مذهب به الذي عرف به «حكمة الإشراق» .

ويروون أنه قال وهو يجود بأنفاسه الأخيرة :

قل لأصحابي رأوني ميتاً
فبكُونِي إذ رأُونِي حَزَنًا
لا تظنُونِي بِأَنِّي مَيِّتٌ
ليس ذا الميِّتِ والله أنا
أنا عصفورٌ وهذا قفصِي
طُرت عنه فتحلَّى رَهْنًا
فاخلعوا الأنفُسَ عن أجسادها
فترون الحقَّ حقًّا بيِّنًا
لا ترعكم سَكْرَةُ الموتِ فما
هي إلا بانتقالٍ من هنا

يقول السهروردي :

أَبَدًا تَحْنُ إِلَيْكُمْ الْأَرْوَاحُ
وَوَصَالَكُمْ رِيحَانُهَا وَالرَّاحُ
وَقُلُوبُ أَهْلِ وِدَادِكُمْ تَشْتَاقُكُمْ
وإِلَى بَهَاءِ جَمَالِكُمْ تَرْتَاحُ (١)
وَارْحَمْتُمَا لِلْعَاشِقِينَ تَحَمَّلُوا
ثَقُلَ الْمَحَبَّةِ وَالْهُوَى فَضَاحُ
أَهْلُ الْهُوَى قَسَمَانِ : قَسَمَ مِنْهُمُو
كُتْمُوا ، وَقَسَمَ بِالْمَحَبَّةِ بَاحُوا
فَالْبَائِثُونَ بِسِرِّهِمْ شَرِبُوا الْهُوَى
صِرْفًا فَهَزَمُوا الْغَرَامَ فَبَاحُوا
وَالكَاتِمُونَ لِسِرِّهِمْ شَرِبُوا الْهُوَى
مَمْزُوجَةً فَحَمَتُهُمُو الْأَقْدَاحُ
بِالسَّرِّ بَاحُوا تَبَاحَ دِمَاؤُهُمْ
وَكَذَا دِمَاءُ الْبَائِثِينَ تَبَاحُ
وَإِذَا هُمُو كُتْمُوا تَحَدَّثَ عَنْهُمْ
عِنْدَ الْوُشَاةِ الْمَدْمَغِ السَّفَاحُ

(١) في رواية أخرى للبيت : وإلى لذيد لقاتكم ترتاح .

وبدت شواهد السقام عليهمو
فيها لمشكل أمرهم إيضاح
خُفض الجَنَاحُ لكم ، وليس عليكمو
للصَّبِّ في خُفضِ الجَنَاحِ جُنَاحُ
فإلى لقاكم نفسهُ مرتاحةً
وإلى رضاكم طرفهُ طماحُ
عودوا لنور الوصل من غَسَقِ الدُّجى
فالهجر ليلٌ والوصل صَبَاحُ
صافاهمو فصفوا له ، فقلوبهم
في نورها المشكاة والمصباحُ
وتمتعوا فالوقت طاب بقربكم
راق الشراب وراقَت الأقداحُ
يا صاح ليس على المحب ملامةٌ
إن لاح في أفق الصباحِ صباحُ
لا ذنب للعشاق إن غلب الهوى
كتمانهم ، فنما الغرامُ ، فباحوا
سمحوا بأنفسهم وما بخلوا بها
لما أدروا أن السَّماحَ ربُّـ____حُ
ودعاهمو داعى الحقائق دعوةً
فغَدُوا بها مستأنسين وراحوا

ركبوا على سفن الوفا ، ودموعهم
بحر ، وشدة شوقهم ملاح
والله ما طلبوا الوقوف ببابه
حتى دعوا ، وأتاهم المفتاح
لا يطربون لغير ذكر حبيبهم
أبدًا ، فكل زمانهم أفرح
حضروا وقد غابت شواهد ذاتهم
فتهتكوا لما رأوه وصاحوا
أفناهم عنهم وقد كشفت لهم
حجب البقا فتلاشت الأرواح
فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم
إن التشبه بالكرام فلاح

ويضيف الصوفية إلى قصيدة السهروردي أبياتاً أخرى كثيرة ،
من بينها مقطوعة نظمت على غرار القصيدة الأصلية ، وحملت طابعها
في التعبير وطريقتها في بناء الصور الشعرية والدوران حول قاموسها
المختار من الكلمات والإشارات :

أيامنا بلقائكم أفرح
وجميع أيام الملاح ملاح
قل للمحب إذا تهتك في الهوى
: إن التهتك في الغرام مباح

واخلع عِذارك لا تُبالِ بعاذلٍ
واطربُ وغنَّ فما عليك جُنّاح
أهل المحبة حين طاب شرابهم
باعوا النفوس لِحُبهم وارتاحوا
شربوا كؤوس الحب في حان الصفا
فتمايلت سكرًا بها الأرواحُ
بالانكسار تحمّلوا في حبه
فبدا عليهم من رضاهُ سَمَاحُ
خلع الحبيبُ عليهمو خلع الرضا
وأنالهم من فضله الفتاحُ
ملأ الحبيب قلوبهم من نوره
فشذاهمو من عطره فواحُ
تحى الحبيب بذكرهم وبنورهم
وتزول عند لقاءهم الأتراح
كلُّ القلوب لهم تحن تشوقاً
وتُحبّهم ، وبحبّهم ترتاحُ
فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم
إن التشبّه بالكرام فَلاحُ

إلهى يا سميع

لأحمد البدوى

« إلهى ثوب جسمى دنستهُ
ذنوبٌ جملها أبداً ثقیلُ
إلهى جدد بعفوك لى فإنى
على الأبواب منكسر ذلیلُ »

« هو أبو العباس أحمد البدوى القرشى ، كان مولده بمدينة فاس بالمغرب ، هاجر مع والده وأهله إلى مكة حيث تعلم القرآن والعلوم الشرعية ، ثم حببت إليه الخلوة والوحدة فاعتزل الناس وظهرت عليه دلائل البركة والولاية ، ثم هاجر إلى العراق حيث لقي من شيوخها وعلمائها الترحيب ، ثم جاء إلى مصر فى عصر الظاهر بيبرس الذى استقبله أروع استقبال بعد أن طبقت شهرته الآفاق لعلمه وصلاحه وتقواه ونزل فى مدينة طنطا حيث كانت وفاته سنة ستمائة وخمس وسبعين هجرية زاهداً متعففاً ورعاً ، وفقياً من فقهاء المذهب الشافعى وأعلامه » .

يقول أحمد البدوي :

إلهي أنت للاحسان أهلٌ
ومنك الجود والفضل الجزيلُ
إلهي بات قلبي في هموم
وحالي لا يُسرُّ به خليلُ
إلهي تب وجد وارحم عبيداً
من الأوزار مدمعه يسيلُ
إلهي ثوب جسمي دنسته
ذنوبٌ حملها أبداً ثقیلُ
إلهي جُد بعفوك لي فإنسي
على الأبواب منكسرٌ ذليلُ
إلهي حُفني باللطف يا من
له الغفرانُ والفيضُ الجزيلُ
إلهي خانني جلدِي وصبري
وجاء الشيبُ واقترب الرحيلُ
إلهي داوني بدواء عفو
به يشفي فؤادي والغليلُ
إلهي ذاب قلبي من ذنوبي
ومن فعل القبيح أنا القتيلُ

إلهى رَدَّنِي بِرَدَاءِ أَنْسَى
 وَأَلْبَسَنِي الْمَهَابَةَ يَا جَلِيلُ
 إلهى زَحَزَحِ الْأَسْوَءَ عَنِّي
 وَكُنْ لِي نَاصِرًا نَعْمَ الْكَفِيلُ
 إلهى سِيدِي ، سَنَدِي وَجَاهِي
 فَمَا لِي غَيْرَ عَفْوِكَ لِي مَقِيلُ
 إلهى شَتَّتْ جَيْشَ اصْطِبَارِي
 هَمُومٌ شَرَحُّهَا أَبَدًا يَطْوُلُ
 إلهى صرْتُ مِنْ وَجْدِي أَنْأَدِي
 أَنَا الْعَاصِي الْمُسِيءُ ، أَنَا الذَّلِيلُ
 إلهى ضَاعَ عَمْرِي فِي غُرُورِ
 وَفِي لَهْوٍ وَفِي لَعِبٍ يَطْوُلُ
 إلهى طَالَمَا أَنْعَمْتُ مِنْأً
 بِجُودٍ مِنْكَ فَضْلًا يَسْتَطِيلُ
 إلهى ظَاهِرًا أَدْعُوكَ رَبِّي
 كَذَلِكَ بَاطِنًا أَنْتَ الْجَلِيلُ
 إلهى عَافَنِي مِنْ كُلِّ دَاءٍ
 بِجَاهِ مُحَمَّدٍ نَعْمَ الْخَلِيلُ
 إلهى غَافِرَ الزَّلَّاتِ يَا مَنْ
 تَعَالَى ، مَا لَهُ أَبَدًا مَثِيلُ

إلهى فإن من ناداك ربى
 أتاه الخير حقاً والقبول
 إلهى قلت ادعونى أجبك
 فهناك العبد يدعوا يا وكيل
 إلهى كيف حالى يوم حشر
 إذا ما ضاق بالعاصى مقيلاً
 إلهى لا إله سواك ربى
 تعالى ، لا تُمثلُهُ العقول
 إلهى مسنى ضرراً فاضحى
 به جسمى يُبلبلهُ النحول
 إلهى نجنى من كل كرب
 ويسر لى أمورى يا كفىلاً
 إلهى هذه الأوقات تمضى
 بأعمار لنا ، وبها تزول
 إلهى والنى خيراً ، وأحسن
 ختامى عندما يأتى الرسول
 إلهى يا سميع أجب دعائى
 بطله من تسير له الحمول
 فصل عليه ربى كل وقت
 صلاة لا تحول ولا تزول
 وآل والصحاب ذوى المعالى
 وفى طى الكلام همو الفحول

سقانى محبوبى

لإبراهيم الدسوقي

« شهدت وشاهدنا وطابت نفوسنا
وقد لذلّى ذلّى إليه وخشيتى
أحنّ على ذلّ وأهوى على هدى
وأسرى على علم لأنوار طلعة »

« هو إبراهيم بن أبى المجد بن قريش زين العابدين ، ينتهى نسبه إلى الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه . ولد سنة ستمائة وثلاث هجرية ، وتفقه على مذهب الإمام الشافعى ثم اقتفى آثار السادة الصوفية وصار من أقطابهم ، ومازالت طريقه عامرة بالصالحين يقتفون آثاره فى مجاهدة النفس وصدق التودد إلى الله وذكره وحسن عبادته ، توفى سنة ستمائة وست وسبعين هجرية عن ثلاثة وأربعين عاما ومسجده بمدينة دسوق عامر بزواره حتى اليوم . »

يقول إبراهيم الدسوقي :

سقاني محبوبى بكأس المحبة
فتهت عن العشاق سكرًا بخلوتي
ولاح لنا نور الجلالة لوأضأ
لصم الجبال الراسيات لدكت
وكنت أنا الساقى لمن كان حاضراً
أطوف عليهم كربة بعد كربة
ونادمنى سرًا بسرٍّ وحكمة
وأن رسول الله شيخى وقدوتى
وعاهدنى عهدًا حفظت لعهدى
وعشت وثيقاً صادقاً بمحبتى
وحكمنى فى سائر الأرض كلها
وفى الجن والأشباح والمردية
وفى أرض صين الصين والشرق كلها
لأقصى بلاد الله صحت ولايتى
أنا الحرف لا أقرأ لكل مناظر
وكل الورى من أمر ربى رعيتى
وكم عالم قد جاءنا وهو منكراً
فصار بفضل الله من أهل خرقتى

وما قلتُ هذا القولُ فخراً وإنما
أتى الإذن كى لا يجهلون طريقي
غنيت عن الدنيا بفيض عطائه
وأى عطاياهم يدانى عطيتى ؟
وصرتُ على بُعد المسافات واصلاً
لأدنى دُنُوِّ فى ارتفاعى لغايتى
فوجه الحبيب الحقُّ مشرق وجهتى
ونور الحبيب الحقُّ ساطع قبلتى
وفى القلب أشواقٌ يترجم فيضها
عن الألق السامى إلى قدسِ حضرة
شهدت وشاهدنا ، وطابت نفوسنا
وقد لذلى ذلٌّ إليه وخشيتى
أحنُّ على ذلِّ ، وأهوى على هدى
وأسرى على علم لأنوار طلعة
رضيتُ به حتى دخلت رياضه
فأنعم بها من روضة أى روضة
وما لذة العشاق إلا يقينهم
بشميل جميع بعد طول تشتت
وأغسل قلبى من سواك ، ولم أجد
لنفسى إلا نور ذاتك بغيتى
تعاليت بالعطف الكريم ، رعايةً
فباركت زلاتى وأمنت روعتى

فطرة النفس

لأبى العباس المرسى

« والنفسُ بين نزولٍ في عوالمها
كآدمٍ وله حواءٌ في قرْنِ
والروحُ بين ترقُّ في معارجها
وهى الموافقُ للتعريفِ والمنينِ »

« هو الإمام العارف بالله شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عمر الخزرجى الأنصارى المرسى البلنسى ، ولد في مرسية من مقاطعة بلنسية بالأندلس سنة ستمائة وست عشرة هجرية ، ونسب إليها فسمى المرسى ، وفد مع شيخه أبى الحسن الشاذلى إلى مصر سنة ستمائة واثنتين وأربعين هجرية وأقاما بالاسكندرية وأخذ أبو العباس يلقى الدروس ويعلم مبادئ السلوك وتطبيب النفوس في جامع العطارين ، وزادت شهرته - بعد موت شيخه الشاذلى - وتلقى العلم على يديه وصاحبه كثير من علماء عصره كالבوصيرى وياقوت العرش والسكندرى وابن دقيق العيد والعز بن عبد السلام والحافظ المنذرى - وتوفي سنة ستمائة وخمس وثمانين هجرية . »

يقول أبو العباس المرسى :

إن كنت سائلنا عن خالص المنن
وعن تآلف ذات النفس بالبدن
وعن تشبثها بالحظّ مذألفت
أدرانها فغدت تشكو من العطن
وعن بواعثها بالطبع مائلة
تهوى بشهوتها في ظلمة الشجن
وعن حقيقتها في أصل معدنها
لا ينتنى وصفها منها إلى وثن
وعن تنزلها في حكمها ولها
علم يفرقها في القبح والحسن
فاسمع هُديت علومًا عز سالكها
على البيان ولا يغرك ذو لسن
قصداً إلى الحق لا تخفى شواهدُها
قامت حقائقها بالأصل والفن
يا سائل عن علوم ليس يدركها
ذو فكرة بفهوم لا ولا فطن
لكن بنور على جامع خمدت
له العقول وكلُّ الخلق في وسن

خُذْهَا إِلَيْكَ بِحَقِّ لَسْتِ جَاهِلَةٌ
وَالْأَمْرَ مُطْلَعٌ وَالْحَقُّ قَيْدَنِي
عَلَى الْحَقِيقَةِ خُذْ عِلْمَ الْأُمُورِ وَلَا
تَحْجِبْكَ صُورَتُهَا فِي عَالَمِ الْوُطْنِ
فَفُطْرَةُ النَّفْسِ سِرٌّ لَا يُحِيطُ بِهِ
عَقْلٌ تَقِيدُ بِالْأَوْهَامِ وَالْدَرَنِ
لَكِنِّهَا بَرَزَتْ بِالْحُكْمِ قَائِمَةٌ
حَتَّى تَأْلِفَهَا السَّكَّانُ بِالسَّكَنِ
وَكَيْ يُقَالَ عَبِيدٌ قَائِمُونَ بِمَا
أَلْقَى مِنَ الْأَمْرِ قَبِيلَ الْخَلْقِ وَالْمَحَنِ
وَالنَّفْسِ بَيْنَ نَزُولٍ فِي عَوَالِمِهَا
كَأَدَمَ وَلَهُ حَوَاءٌ فِي قَرَنِ
وَالرُّوحِ بَيْنَ تَرَقٍُّّ فِي مَعَارِجِهَا
وَهِيَ الْمَوَافِقُ لِلتَّعْرِيفِ وَالْمَنْنِ
مِنَ الْحَجَابِ دَنَتْ أَنْوَارُهَا فَبَدَتْ
نُورًا تَنْزِلُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالسَّدْمِ
مِثَالَهَا فِي الْعُلَا مِرَاةٌ مَعْدِنِهَا
الطَّافُهَا خَفِيَّةٌ كَالسَّرِّ فِي الْعَلَنِ
زَيْتُونَةٌ زَيْتُهَا نُورٌ لِصَاحِبِهَا
قَامَتْ حَقَائِقُهَا بِالْأَصْلِ وَالْقُنَنِ

ونار دعوتها ماءً لشاربها
مُدَّتْ هدايتها في الكون والكُـبْنِ
والكلُّ أنت بمعنَى لاخفاء به
والنور يحجبه كالماء في اللبنِ
والعبدُ محتجبٌ في عزِّ مالِكه
دقت معارفه في الدهر والزمنِ

ظهرت لكل الكون

لابن عطاء الله السكندري

« ظهرت لكل الكون ، فالكونُ مظهرٌ
وفيه له أيضا كما جاءت الصحفُ
فأئى فؤادٍ عن ودادك ينتنسي
وأية عينٍ بعد قُربك لن تغفو »

« هو تاج الدين أبو العباس أحمد بن عطاء الله من أهل العلم في التفسير والحديث والنحو والفقه والأصول ، صاحب أبا العباس المرسى وأخذ عنه ثم استوطن القاهرة وكان له كرسى في الأزهر يجلس عليه ليشرح علوم القوم وآثار السلف ، توفى بالمدرسة المنصورية في القاهرة سنة سبعمائة وتسع هجرية ، ومن أشهر آثاره مجموعة الحكم التى نظمها والتى تفيض بالرمزيات وتهيبها الشراح لأنها فى رأيهم تشتمل على الأسرار المصونة والجواهر المكنونة ، بالإضافة إلى آثاره الشعرية التى تدل على موهبة أصيلة وبيان محكم » .

يقول ابن عطاء الله السكندري :

وكلّ محتاجٌ ، وأنت لك الغنى
ومثل من يُخطى ، ومثلك من يعفو
وأنت الذى أبدى الوداد تكرماً
ومثلك من يرعى ، ومثل من يجفو
وما طاب عيش لم تكن فيه واصلًا
ولم يصفُ ، لا والله ، أنى له يصفو
عزمتُ على أن أترك الكون كله
وأقفو سبيلَ الحبِّ ، والمُجتبى يقفو
شهود كمو يجلو الحجاب لأنه
إذا حقّق التحقيق صار هو الكشفُ
وما أحسنَ الأحبابَ فى كلّ حالة
فَلله ما يُبدوا ولله ما يخفوا
وإن الأولى لم يشهدوك بمشهدٍ
قلوبهم عن نيلِ سر الهوى غلفُ
وأنت الذى أظهرت ثم ظهرت فى
جميع المبادي مثلاً شهد العرف
ظهرت لكلّ الكون، فالكون مُظهرٌ
وفيه له أيضاً كما جاءت الصحفُ
فأى فؤادٍ عن فؤادك ينتشى
وأية عينٍ بعد قريبك لن تغفو

وأية نفسٍ لم يملها هواكمو
على حبكم طُرًّا ، نفوسُ الورى وقفتُ
ويقول ابن عطاء الله السكندرى فى وصف الطريق وشرح أحوال
سالكيه والنصح لمن يريد رشاد الهداية :

أيا صاحِ هذا الركبُ قد سار مُسرِعًا
ونحنُ قعودٌ ، ما الذى أنت صانعُ
أترضى بأن تبقى المُخلفَ بعدهم
صريع الأمانى ، والغرام ينازع
وهذا لسان الكون ينطق جهرًا
بأن جميع الكائناتِ قواطعُ
وأن لا يرى وجه السبيل سوى امرى
رمى بالسوى لم تختدعه المطامعُ
ومن أبصر الأشياءَ والحقَّ قبلها
فغيبَ مصنوعًا بمن هو صانعُ
بواده أنوارٍ لمن كان ذاهبًا
وتحقيق أسرارٍ لمن هو راجعُ
فقم وانظر الأكوانَ والنورَ عمَّها
ففجرُ التدانى نحوكَ اليومَ طالعُ
وكن عبده ألقِ القياد لحكمه
وإياك تدبيرًا فما هو نافعُ

أَتَحْكُمُ تَدْبِيرًا وَغَيْرُكَ حَاكِمٌ
أَأَنْتَ لِأَحْكَامِ الْإِلَهِ تُنَازِعُ ؟
فَمَحَوْا إِرَادَاتِ كُلِّ مَشِئَةٍ
هُوَ الْغَرَضُ الْأَقْصَى فَهَلْ أَنْتَ سَامِعٌ
كَذَلِكَ سَارَ الْأَوَّلُونَ فَأَدْرَكُوا
عَلَى إِثْرِهِمْ فَلَيْسَ مَنْ هُوَ تَابِعٌ
عَلَى نَفْسِهِ فَلَيْبِكَ مَنْ كَانَ طَالِبًا
وَمَا لُئِستُ مِمَّنْ يُحِبُّ لَوَامِعُ
عَلَى نَفْسِهِ فَلَيْبِكَ مَنْ كَانَ بَاكِيًا
أَيَذْهَبُ وَقْتُ وَهُوَ بِاللَّهُوَ ضَائِعُ

سُكْرُ الْحَبَّةِ

لابن أرقم النميري الأندلسي

« فما بالهم سُكْرُ المحبةِ أنكروا
ولا شربوا من خمر وجدانها صرفا
يريدون إدراك المعانى حقيقةً
وهل يجدُ التحقيق من لم يجدُ وصفاً »

« هو أبو محمد عبد الله بن عبد العظيم بن أرقم النميري الأندلسي من أهل وادي آش ، يكنى أبا عامر ، يقول عنه لسان الدين ابن الخطيب في كتابه الإحاطة في أخبار غرناطة (الجزء الثالث) :
« كان أحد شيوخ بلدى وطلبته ، مشاركاً في فنون من فقه وأدب وعربية وهى أغلب الفنون عليه ، وكان مطرح السمت ، مخشوشن الزى ، قليل المبالاة بنفسه ، مختصراً في كافة شئونه ، وكان بيته معموراً بالعلماء أولى الأصالة والتعين ، وقد تصدر ببلده للفتيا والتدريس والاستماع ، وكانت وفاته ببلده سنة أربعين وسبعمائة هجرية » .

يقول ابن أرقم النميري الأندلسي :
 تعالوا تعاطيها مُقَدَّسَةً صِرْفًا
 فنرشفها في بسط روض الهدى رشفًا
 أنار بها الأكوان نورًا فأشرقنا
 ومن قبل موجوداتها وجدت لطفًا
 شربنا بأكواب الصفاء صفاءها
 فله ما أحلى هواها وما أصفى
 وغبنا عن الإحساس من طيب سُكرها
 فلاح لنا في الكون ما لم يكن يخفى
 ولما تجلّى الحسَنُ في حُجبِ قُدُسِهِ
 حُجبنا فلم نبصر حجابًا ولا سُجفًا
 ورُحنا بروض الأنسِ نجنى ثماره
 ونقطف بالإخلاص أزهارها قطفًا
 وبعنا بِسَرِّ الحب في مجلس الهوى
 ولم نخش إذ بُعنا بِسَرِّ الهوى حتفًا
 ونحن أناس ليس ينكر أمرنا
 عرفنا وعرفنا المعارف والعرفا
 فما بالهم سكر المحبة أنكروا
 ولا شربوا من خمر وجدانها صرْفًا

يريدون إدراك المعانى حقيقة
 وهل يجد التحقيق من لم يجد وصفا
 وما الحق إلا ظاهراً في وجوده
 وأسراره في شرح آياته تُلْفَى
 فلو قصدوا المقصود بالصدق شاهدوا
 مصابيح أنوار تنزهه أن تطفأ
 ولو أخلصوا في ذاته وصلوا به
 إليه ، ونالوا عنده أجر من وفى
 ولو لمحو معنى المحاسن صيغة
 لما وصفوا قرطاً ، ولا ذكروا شقفا
 ألا أيها الساقى ظمئنا فسقنا
 بالطافها يشفى من الجهل ما يشفى
 وعاود ففي الأكواب منها بقية
 بها العيش يستحل ، بها الأنس يستوفى
 وما طيبها إلا بلطف مديرها
 بحيث منادى الرشيد نبه من أغفى
 أمولاي يا مولاي دعوة مبعِد
 على الهلك من تسويف رحلته أشفى
 بعثت ودادى واشتياقى وسيلة
 وإنى فى باب الرجاء باسط كفا
 وإن ذنوبى كالجبال رجاحة
 وحبك يا مولاي ينسفها نسفا

الملجأ الأحمى

لابن الجيآب الأندلسى

« محبته شرطُ القبولِ ، فمن خلتُ
صحيفتهُ منها ، فقد زاعَ واشتطأَ
به الحقُّ وضَّاحٌ ، به الإفكُ زاهقُ
به الفوزُ مرجوٌ ، به الذنبُ قد حُطَّأُ »

« هو أبو الحسن على بن الجيآب الأنصارى الأندلسى ، من أهل
غرناطة جاء فى ترجمته فى كتاب الإحاطة فى أخبار غرناطة (الجزء
الأول) :

« شيخنا ورئيسنا العلامة البليغ ، كان على ما كان عليه من التفنن
والإمامة فى البلاغة والأخذ بأطراف الطلب والاستيلاء على غاية الأدب ،
صاحب مجاهدة وملازمة عبادة ، على طريقة مثلى فى الاستقامة
والنزاهة وإيثار التقشف ، محب لأهل الخير والصلاح .. وهو شيخ
طلبة الأندلس دراية وتحقيقاً ومشاركةً فى كثير العلوم ، توفى سنة تسع
وأربعين وسبعمائة هجرية » .

يقول ابن الجيّاب الأندلسي :

أهزلاً وقد جدّت بك اللّمة الشمطا
وأمنّا ، وقد سادرتها حيّة رقطا
أغرّك طول العمر في غير طائل
وسرك أن الموت في سيره أبطل
رويدا فإن الموت أسرع وأفد
على عمرك الفاني ركائبه خطا
فإذ ذاك لا تستطيع إدراك ما مضى
بحال ، ولا قبضا تطيق ولا بسطا
تأهب فقد وأفأك سيبك منذرا
وها هو في فؤديك أحرفه خطا
فرافقت منه كاتب السر وأشيا
له العلم الأعلى ، يخط به خطا
معمى كتاب فكه احذر ، فهذه
سفينة هذا العمر قاربت الشطا
وقد طالما خاضت بك اللجج التي
خبطت بها في كل مهلكة خبطا
وما زلت في أمواجهما متقلبا
فأونة رفعاً ، وأونة حطا
فقد أوشكت تلقيك في قفر حفرة
يُشدُّ عليك الجانبان بها ضغطا

ولسنت على علم بما أنست بعُدها
مُلاقٍ ، أرضواناً من الله أم سُخطا
وأعجبُ شىء منك دعواكَ فى النهى
وهذا الهوى المردى على العقل قد غطى
قسطت عن الحق المبين جهالة
وقد غالطتك النفس ، فادعت القسطا
وطاوعت شيطاناً تجيب إذا دعا
وتقبل إن أغوى وتأخذ إن أعطى
تناءى عن الأخرى ، وقد حان حينها
تدانى من الدنيا ، وقد أزمعت سُخطا
وتمنحها حُباً ، وفرط صبابه
وما منحت إلا القتادة والخمطا
فها أنت تهوى وصلها وهى فارك
وتأمل قرباً من حماها وقد شطأ
صراط هدى نكبت عنه عمايه
ودار ردى خالفت فى حُبها الشرطا
فمالك إلا السيد الشافع الذى
له فضل جاه كلما يرتضى نُعطى
دليل إلى الرحمن ، فانهج سبيله
فمن جاد عن نهج السبيل فقد أخطا

محبتُهُ شرطُ القبولِ فمن خَلَتْ
صحيقتُهُ منها فقد زاعَ واشتطَّ
وما قُبِلْتُ منه لىدى الله قُرْبَةً
ولا زكّت الأعمالُ بل حبطت حَبَطًا
به الحقُّ وضاحٌ ، به الإفكُ زاهقٌ
به الفوز مرجوٌ ، به الذنبُ قد حُطَّ
هو الملجأُ الأحمى ، هو الموئلُ الذى
به فى غدٍ يستشفعُ المذنبُ الخطأُ^(١)
لقد ما زجت روحى محبته التى
بقلبى خُطت قبل أن أعرفَ الخطأَ

(١) أى الخطاء (الكثير ارتكاب الخطايا) .

سلمى

اليافعى

« فياليلةً فيها السعادات والمنى
لقد صغرت في جنبها ليلة القدر
فلما شربنا الراح في ساحة الرضا
أتانا أغرُّ السعد بالخلع الخضر »

« هو عفيف الدين عبد الله اليافعى ، ولد في اليمن ودرس الفقه وعلوم القرآن ومال إلى التصوف ، فارتحل إلى القدس ودمشق والحجاز ومصر وأخذ العلم عن أعلام علماء عصره حتى صار مشهوراً له بالفضل والمنزلة ، له مؤلفات مشهورة في التصوف ، أهمها: « روض الرياحين في مناقب الصالحين » الذى يضم سير خمسمائة من أولياء الصوفية ، « ونشر المحاسن الغالية في فضل أصحاب المقامات العالية » وفيه يشرح اليافعى الأحوال والمقامات بأسلوب أدبى جميل ، كما دون فيه أكثر ما نظمته من قصائد في الحب الإلهى والترانيم الصوفية .

توفى سنة سبعمائة وثمانى وستين هجرية .

يقول اليافعي :

سلا عن حمى سلمى، وعن أهله الغرّ
عسى خبرٌ يلقاكما ، طيبّ الذكرِ
يجيءُ به من نحوها عذبٌ منطوق
يفوح به من ريحها طيبّ النشرِ
يُخبر عن سلمى وعن ذلك الحمى
وقول لسان الحال في نظمه السدرى
رعى الله عهداً مرّ مع جيرة الحمى
هنا في رياضٍ زاهراتٍ به زُهرِ
سقتنا بها سلمى من الراح عندما
بدتْ فأضياء الكون من جانب الخدرِ
أماطت حجاباً عن بهاء جمالها
فهمنا سكارى في المهامة والقفرِ
نرومُ التسلى عن هواها ببُعْدنا
وكلُّ جمالٍ في الوجود بها يغرى
خليئٌ ما سلمى ونجدٌ وما الحمى
وما راحها ، ما كأسُها ، ما الهوى العذرى
شربنا حمياً الكأس في قدسِ حضرة
وأكرم بها في حضرة القدس من خمِرِ
لنا عُصرت من كرم نورِ جمالٍ من
سقانا ، وقد غبنا وحرنا فما ندرى

سكـرنا بها من شمها قبل شربها
نشأوى بريآها إلى آخر الدهر
أو السكر ذا من رؤية الكأس ، أو أنت
به رؤية الساقى إلينا ذوى السكر
تجلى بأوصاف الجمال فشاهدت
عيون قلوب ما به حار ذو الفكر
فياليلة فيها السعادات والمنى
لقد صغرت في جنبها ليلة القدر
فلما شربنا الراح في ساحة الرضا
أتانا أغر السعد بالخلع الخضر
رسول عنايات برسم ولاية
وتصريفنا في الملك في البر والبحر
وضاعت لنا أنوار غيب وشوهدت
أمور وأعلمنا بها أنها تجرى
وحلت بوادى طور قلب معارف
زهت فيه كم حسناء في داخل الخدر
وكم حكم تجلى ملاح ، كأنها
عرائس أبكار على منطق الدر
وكم يدفع الله البلايا بسادة
من الخلق في كشف الشدائد والخضر
فمن لم بهذا يؤمن ، فقولوا له إذا
تجراً على الغر المشايخ بالنكر

تجلّى فضولاً في فضائل سادة
لهم في سما مجدٍ المفاخر كم قَصْرِ
مقاماتُ أحباب تری الشهب دونها
بنوُّها بياقوت المواهب والدرّ
تضیء الدّیاجی من بهاء جمالها
بما یهتدی منّ للعلا نحوها یسرى
وما تلك من أشباه عُشٍّ ، فادرّجی
إلى جوفِ عَشٍّ في الغیاباتِ أو جُحْرِ

المنبهجة

لمصطفى البكرى

« مولاي أَتَيْتُكَ منكسرا
وبغيرك شوقى لم يهيج
هل غير جنابك يقصد ، لا
وجمالك ذى الحُسنِ البهيج »

« ولد في دمشق سنة ألف وتسع وتسعين هجرية ، حيث تعلم العلوم الدينية ثم انتسب إلى الطريقة الخلوتية وأخذ عن مشايخها وأقطابها ، ونذر نفسه للزهد والتقوى والتزود للأخرة ، ثم هاجر إلى مصر ونشر فيها الطريقة الخلوتية - التى ما يزال لها أشياع ومريدون حتى اليوم - حيث توفى سنة ألف ومائة واثنتين وستين هجرية ، بعد أن ترك آثارا شعرية وأورادا وابتهالات صوفية كثيرة من بينها هذه القصيدة التى سميت بالمنبهجة ويقرأها جميع مريديه يوميا قبل صلاة الفجر » .

يقول مصطفى البكري :

قم نحو حماه وابتهج
وعلى ذاك المخيّا فعج
ودع الأكوان وقم غسقا
واصدق في الشوق وفي اللهج
والزم باب الأستاذ تفز
وتكون بذلك خلّ نجى
واخرج عن كل هوى أبدا
ودع التلقيق مع الهرج
إياك أخى ترافق من
لم ينهك عن طرق العوج
اقنع وازهد واتركه كذا
ك بباب سواه لا تلج
وادخل للحن خليلي وميل
نحو الخمار أبى السرج
واشرب واطرب لا تخش سؤى
إياك تمل عن ذى النهج
كم أنت كذا ، لم تصح ، أفق
وإلى الأبواب فقم ولج

مـولاي أتيتك منكسراً
 وبغيرك شوقى لم يهـج
 وأتيتُ إليك خائياً من
 صومى وصلاتى مع حجـجى
 وكذا علمى وكذا عملى
 وكذاك دليلى مع حجـجى
 لا أملك شيئاً غير الدَّمِ
 مع مخافة أن يغشى وهـجى
 هل غيرُ جنابك يُقصِدُ، لا
 وجمالُك ذى الحسنِ البهـجِ
 من يقصد غيرك فهو إذا
 بظلامِ البعد تراه فجـجى
 من أنت تُضِلُّ فذاك من الـ
 هلاكِ ومن تهـدى فنـجـجى
 ودموعُ العين تُسابقنـى
 من خوفك تجرى كاللـجـجِ
 يا عاذلَ قلبى ويكُ فدعُ
 عذلى واقصر عن ذا الحـرجِ
 كم تعذلى لم تعذرنى
 دعنى فى البسطِ وفى الفـرجِ

أَذْنِي لِحَبِيبِي صَاغِيَةً
صُمْتُ عِنْدَ الْوَاشِي السَّمَجِ
يَا صَاحِبَ حَانَ الْخَمْرِ أَدْرُ
صَرْفًا وَاتَرَكُ لِلْمَتَزَجِ
وَأَدْرُ كَأْسَ الْأَسْرَارِ وَدَعُ
نِ أَصِيرُ بِهِ مِنْ ذِي الْهَمَجِ
مَوْلَايَ بِسْرِ الْجَمْعِ كَذَا
كَ وَجَمْعِ الْجَمْعِ وَكُلُّ شَجِي
بِالذَّاتِ بِسْرِ السَّرِّ ، بِمَنْ
إِفْضَالِكَ رَبِّي مِنْكَ رُجِي
بِحَقِيقَتِكَ الْعَظْمَى رَبِّي
وَبِنُورِ النُّورِ الْمُنْبَلَجِ
بِعَمَاءٍ كُنْتُ بِهِ أَزَلًا
بِمُحَمَّدٍ مِنْ جَا بِالْبَلَجِ
وَبِسْرِ الْقُرْبِ كَذَاكَ الْحَبِّ
وَبِأَهْلِ الْجَذْبِ الْمُنْعَرَجِ
وَبِمَا أَوْجَدْتُ مِنَ الْأَكْوَا
نِ بِمَا فِيهِنَّ مِنْ الْأَرْجِ
وَبِأَهْلِ الْحَيِّ وَبِهِجَتِهِمْ
وَبِيحْرٍ الْقُدْرَةِ وَالْمَرْجِ

وبطيء الوصل لذته
 ببساط الأنس المنتسج
 وبقلب في بلواك غدا
 وحياتك ليس بمنزعج
 بتجلى الليل وعالمه
 وظلام الكون كما السبج
 بمنازل أفلاك وكذا
 بمطالعها ثم البرج
 بالآل ، بصحب ، من بهمو
 كل الخيرات إلينا تجي
 يسر وأجر كسرى ، برضا
 ليكون بوصلك مبتهجي
 واخضع خلع الرضوان على
 صب في حبك حب هج
 وامنح قلبي نفحاتك يا
 مولاي وعجل بالفرج
 واحسرة قلبي إن لم تمح
 خطايا الذنب من الدرج
 واغفر يارب لناظمها
 وله رقي على الدرج

واسمُحْ للسامِعِ ما نُشَدتْ
 قِمْ نَحْوَ حِمَاهُ وابْتَهِجِ
 أوْ مَا جَاءَ سَحَرًا يَحْدُو
 الشَّدَّةُ أودَتْ بِالمَهْجِ
 وَصَلَاةُ اللَّهِ عَلَى الهَادِي
 وَسَلَامٌ يُهْدِي فِي الحِجِ
 لِمَحْمَدِنَا وَلِأَحْمَدِنَا
 مَا فَاحَ أَقْصَا حُ فِي المُرْجِ
 مَا مَالُ مُحِبِّ يَهْوَاهُ
 أوْ سَارَ الرُّكْبُ عَلَى السُّرْجِ
 أوْ مَا دَاعٍ يَدْعُو المَوْلَى
 يَرْجُو لِلنَّصْرِ مَعَ الفَرَجِ

مالى سواك

لأحمد الحلوانى

« أستغفرُ الله مما قد قلتُهُ وهو زورٌ
ومن تناسٍ بناسٍ ، عمن هو المذكورُ »

« هو الشيخ العلامة أبو عبد الرحيم أحمد بن إسماعيل الحلوانى
الخليجى الشافعى ، ولد سنة ألف ومائتين وتسع وأربعين هجرية فى
بلدة رأس الخليج من أعمال محافظة الغربية، وحفظ القرآن ثم أتقن
علوم الدين واللغة ، ثم ارتحل إلى طنطا لتحصيل المزيد من العلم حتى
انتهى به الأمر إلى الأزهر الشريف حيث تتلمذ على صفوة الأعلام من
علمائه كالقصبى والباجورى والخضرى والشبراوى . توفى سنة ألف
وثلاثمائة وثمانى هجرية بعد أن ترك وراءه عدة مصنفات دينية
والكثير من الأشعار والأذكار الصوفية »^(١).

(١) السمو الروحى فى الأدب الصوفى تأليف أحمد عبد المتعم عبد السلام الحلوانى.

يقول أحمد الحلواني :

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ رَبِّي	فَاللَّهُ رَبُّ غُفُورٍ
مِمَّا جَنَاهُ جَنَانِي	أَوِ اللِّسَانُ الْعَثُورُ
أَوِ الْجَوَارِحُ مِنْي	فَإِنَّهَا قَدْ تَثُورُ
أَوْ ظَاهِرٌ لَيْسَ يَخْفَى	أَوْ بَاطِنٌ مُسْتَوِرُ
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِمَّا	قَدْ قَلَّتْهُ وَهُوَ زَوْرُ
وَمِنْ تَنَاسٍ بِنَاسٍ	عَمَّنْ هُوَ الْمَذْكُورُ
وَمِنْ خِلَافِ أُمُورٍ	أَنَا بِهَا مَأْمُورُ
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِمَّا	جَرَى بِهِ الْمَقْدُورُ
مِنْ كُلِّ أَمْرٍ مُعِيبٍ	قَدْ كُنْتُ فِيهِ أُمُورُ
لَمْ يُرِضْ رَبِّي وَقَلْبِي	بِكُسْبِهِ مَسْرُورُ
إِنْ سَرْتُ يَوْمًا إِلَيْهِ	أَطِيرُ حِينَ أُسِيرُ
وَعِنْدَ أَوَّلِ جِزْءٍ	مِنْهُ يَجِيءُ الْآخِرُ
وَإِنْ تَوَخَّيْتُ خَيْرًا	صِرْفًا فَكَمْ أَسْتَخِيرُ
وَإِنْ تَهَمَّمْتُ يَوْمًا	إِلَيْهِ جَاءَ الْفُتُورُ
وَلِلتَّقْدِمِ أَنْوَى	فَيَعْرِضُ التَّأْخِيرُ
هَبْنِي تَقَدَّمْتُ ، مَاذَا	يُجْدِي وَقَلْبِي نَفُورُ
وَهَبْهُ غَيْرَ نَفُورٍ	هَلْ فِيهِ ثُمَّ حُضُورُ
عَدَمَتُهُ مِنْ فَوَادٍ	عِنْدَ الصَّلَاةِ يَطِيرُ
أَنْوَى فَيَذْهَبُ لَبِّي	وَفِي السَّلَامِ يَحُورُ
أَظِلُّ أَحْسَبُ فِيهَا	وَمَا تَحْتَوِيهِ الدُّهُورُ

كَأَنَّنِي بِحَسَابِي
فَلَوْ تَرَانِي فِيهَا
فَفِي الْعِبَادَةِ طَرَفِي
وَفِي الذُّنُوبِ قُوَادِي
يَا وَيْلَنَا مَنْ ذُنُوبُ
وَمَنْ خُطَايَا اللُّوَاتِي
وَأَهْ مَنْ كَسَلٌ إِثْمٌ
وَمَنْ مَقْصِدٌ سَوْءٌ
شَيْءٌ وَمَنْ أَسَتْ أُدْرِي؟
قَبَائِحُ كُنْتُ فِيهَا
مَاتَتْ وَعَاشَتْ، فَقَلْبِي
سُرُرْتُ مِنْهَا زَمَانًا
نَسِيتُهَا وَدَعَايَا
مَاذَا أَقُولُ لِرَبِّي
يَا رَبِّ أَنْتَ رَحِيمٌ
يَا رَبِّ أَنْتَ عَفْوٌ
يَا رَبِّ إِنِّي حَقِيرٌ
وَشَأْنُ مَنْ جَلَّ يَغْضَى
وَأَيْنَ تُرَبُّ خَسِيسٌ
وَمَا أُرِيدُ احْتِجَاجًا
أَجْرُ عِبِيدِكَ يَا مَنْ

مَوْكَلٌ أَوْ أَجِيرٌ
لَقُلْتُ : ذَا مَبْهُورٌ
وَلَوْ بَصِيرًا ضَرِيرٌ
عَلَى عَمَاهُ بَصِيرٌ
فُجُورُهَا مَفْجُورٌ
إِلَى الْخَطْسَى تَسْقُطِيرٌ
عَلَيْهِ يُطَوَّى الضَّمِيرُ
جَسْرِي بِسَهِّ التَّعْبِيرِ
فَذَاكَ شَيْءٌ كَثِيرٌ
أَسْرِي وَطُورًا أُسِيرُ
مَنْ أَجْلُهَا مَقْطُورٌ
وَعَمَّهَا مَذْخُورٌ
كَتَابِي الْمُسْطُورُ
إِذَا بَدَا الْقَهْرِيُّ
وَبِالسَّمَاكِ جَسْدِي
وَأَنْتَ رَبُّ قَسْدِي
جَسْدًا وَأَنْتَ الْكَبِيرُ
إِذَا أَسَسَاءَ الْحَقِيرُ
مَنْ رَبُّهُ يَا مُجِيرُ
عَلَيْكَ بِسَلِّ أَسْتَجِيرُ
سِوَاهُ لَيْسَ يُجِيرُ

وهل سواك نصيرُ	مالي سواك أغثنى
بدرُ السماء المنيرُ	ولي إليك شفيعُ
إذا السماء تمورُ	غوثُ الأنام المرجى
كشرى ، فإنى كسيرُ	به توسلتُ فاجبر
ما فاض منه النورُ	واسكُب عليه التحايا

تعشقت نور الله

للشيخ على عقل

وهل غير ذات الله للنفس مطلب
حرامٌ سوى الرحمن يدخلُ في نفسى
وما اتَّخذت روى سوى الله غايةً
فتم الهدى للروح والقلب والحسّ

« هو الشيخ على عقل أحد علماء العصر في التصوف والعلوم الشرعية ، ولد سنة ألف وثمانمائة وأربع وتسعين ميلادية ، وكف بصره بعد مولده ، فوهبه والده للقرآن والدين منذ صغره ، ودرس في الأزهر الشريف ، ثم تقلبت به مجالس الذكر والإنشاد حتى صار علماً يتعشقه المريدون ، توفى سنة ألف وتسعمائة وثمانى وأربعين بعد أن ترك ديوانا شعريا يضم ترانيمه الصوفية ومدائحه النبوية هو ديوان « الإلهام »^(١) .

(١) السمو الروحى فى الأدب الصوفى تأليف أحمد عبد المنعم عبد السلام الحلوانى .

يقول الشيخ على عقل :

قتلتُ هوى نفسي ، فعشتُ بلا نفس
وجافيتُ أنسى ، فأنحدرتُ إلى الأنس
ولم أبداً أمرى للعباد ، فطالما
كتمتُ الذي ألقى عن الجن والإنس
وأدركتُ بالوجدان سرَّ أحبتي
وعانيتُ آياتِ اليقين بلا لبس
وعشتُ زمانى لست أحفل بالورى
وكيف ، وقلبي هام في مشهدِ القدس
وعلمتُ غيرى ما أفاد من الهدى
فلم يبق ذو فهم لى على طمس
إذا وسد الناس القبور ، فأبغى
جعلتُ التقى والذكر بين الورى رمسى
ولم أخش من بأس ولم أخش طاغياً
ومن يخش ذات الله لم ير من بأس
وهل غير ذات الله للنفس مطلب
حرام سوى الرحمن يدخل في نفسى
وتوجتُ بالقرآن نفسى عقيده
أصون به نفسى عن الزيغ والفس
وما اتخذت روحى سوى الله غاية
فتسم الهدى للروح والقلب والحس

وإن شرب الناس الطلًّا وتصيبوا
 فسُنَّةُ خَلْقِ اللَّهِ فِي شَرْبِهَا كَأَسَى
 وإن رفع المثرون عُجْبًا رءُوسهم
 رفعتُ بذكر الله فوق الورى رأسى
 وإن جعلوا الشمس اهتداءً ليومهم
 جعلتُ رضا ربى وأيته شمسى
 وإن غرسوا زرعًا لنيلِ حصاده
 فتقوى إله العرش بين الورى غرسى
 تعشقتُ نور الله وهو بصيرتى
 وقد وضع البرهانُ من آية الكرسى
 ومذ شاهدت روى جلالك وارتقتُ
 تجرّدتُ عن مغناى فى عالمِ الحسِّ
 أحبك يا ربى محبةً موقنين
 ومن قوة الإيمان أصبح أو أمسى
 فؤادى قد أبعدتُ عن مشهد الورى
 فطهر فى نجواك من ظلمة الرجسِ
 أطوف على الأبواب قلبى موجهً
 وليس سوى رحماك للقلب من نطسِ
 وأعدمنى فى الحبِّ علمى بقدره
 فليس غرامى فيه يدرك عن قيسِ
 ولم أعشق الدنيا فتلك مجازة
 تهىءُ لآخرى وفى فوتها عرسى

لِقَاؤُكَ يَا رَحْمَنُ عَيْدِي وَعُدَّتِي
وَنُورِكَ غِيْثِي وَهَوْلِي فِي الْوَرَى أَنْسِي
وَبَحْرُكَ مِنْهُ قَدْ لَقِيتُ جَوَاهِرِي
بِشَاطِئِهِ سَفْنِي عَلَى لُجَّةِ غَطْسِي
وَطِيبُ الْوَرَى وَرُسٌ وَمَسْكٌ وَعَنْبَرٌ
وَطِيبِي مِنْ مَحْيَاكَ أَسْمِي مِنَ الْوَرَى
وَلَسْتُ مِنَ الدُّنْيَا ، أَمِيلُ إِلَى الْعُسْلَا
فَإِنَّ عُسْلَا الدُّنْيَا لِأَصْحَابِهِ يُنْسِي
أُمْتَعَ أَعْضَائِي بِذِكْرِكَ دَائِمًا
وَهَلْ غَيْرُ ذِكْرِ اللَّهِ يَسْكُنُ فِي نَفْسِي
وَكُلُّ رَجَائِي أَنْ أَحْبَبَكَ صَادِقًا
إِذَا الصَّدَقُ فِي الْوُجِدَانِ مَرْتَبَةُ الْقُدُسِ
وَمَا فَضْلُهُ وَقِفْ عَلَى أَيْ عَالَمٍ
وَحَقِّكَ مَا حُدَّ الْعَطَاءُ عَلَى جَنَسِ
إِذَا رَضِيَ الرَّحْمَنُ عَنْ قَلْبِ عَبْدِهِ
جَرَتْ مَرْكَبُ الْأَقْدَارِ مَعَهُ عَلَى الْيَبْسِ
تَخَلَّ وَلَا تَحْفَلُ بِجَنٍّ وَلَا إِنْسِ
وَعَشْ فِي هَوَى الرَّحْمَنِ تَسْعُدُ بِالْأَنْسِ
وَأَقْبَلْ عَلَى مَوْلَاكَ بِالْقَلْبِ مَخْلُصًا
وَأَسْلَمْ وَسَلِّمْ وَأَتَّجِهْ طَالِبُ الْقُدُسِ
وَاخْذُ لَكَ بِالْإِيمَانِ أَصْدَقَ وَجْهَةً
وَطَهِّرْ بِهَا نَفْسًا عَنِ الْغَى وَالرَّجَسِ

تجرد تجدُ مولاك أكبرَ ناصِر
وفوض له ما كان في الغد والأمس
حياة السورى حلو ومُر وإنما
حلا المرء بالتوحيد من رقة الحس
ومن لا يرى إلا الإله مراده
حرام عليه الخوض في العرش والكرسى
ومن يتعشق نوره وجلاله
فليس له التشبيب بالبذر والشمس
وإنك لو عظممت دينك عالماً
وعاملت بالحسنى وأدبت للنفس
وكنيت على الأحداث بالله راضياً
سواءً عليك الموت أو ساعة العزس
سعدت من الدنيا بربك محسناً
ونلت من الأخرى عطاء بلا بخس
يقولون لى من أنت ؟ قلت : مُوحِّدٌ
إلى ربه يسعى ولم ير من بأس
إذا قيل لى اطلب قلبى مطلبى
وإن قيل لى اشرب قلت أنواره كأسى
وكل عهد قد تنكس أصلها
ولكن عهد الله باق بلا طمس
سلونى عن العشاق قد ذقت حُبهم
وإنى لهم رأس إذا كان من رأس

وما هم سوى أعضاء جسمي وبزتي
أصافحهم ما شئت لكن بلا لمس
وما حيلتي إلا انكساري في الحمى
وإن انكسار القلب يكشف عن قدسي
وحلو الهوى عندي لقاء أحبتي
ومر الهوى عندي وفي هجرهم تعسى
وأعرف رحمانى وأدرك عفوهُ
وأنهض معترزا وما أنا بالمنسى
وإن حبال الوجد تربط مهجتي
وقلبي بحب الله يعبق كالورس
وإن كنت في سعد فذلك فضله
وإن لم أكن من سادة العُربِ والفرس
فقل للذي يُزجى الشارع دع الكرى
تجد سفن الإحسان تجري على اليبس
وسر موقنا أن الإجابة للهوى
إذا ما دعا الداعي ولا تك في حدس
فكل الذي تراه والكون خلقه
وما نفع التفريق بالنوع والجنس
حسبت الهوى سهلاً فخضت عبابه
فطوراً به أطفو ، وطوراً به غطسى
إلى أن أتتني من لدنه عناية
وصلت بها برّ السلامة والأنس

موسيقى من الله

للشاعر محمود حسن إسماعيل

« الدَّرْبُ ضَوْءٌ لِلسُّرَاةِ حَقِيقَةٌ ، وَحَصَادَ نُورٍ
وَهْدَى الدُّجَى ، وَتَمَزَّقَتْ حُجُبُ الرِّيَاءِ ، عَلَى الْحُضُورِ »

« محمود حسن إسماعيل أحد الأصوات الشعرية الكبرى في عصرنا الحديث ، ولد في قرية النخيلة بمحافظة أسيوط في الثاني من يوليو سنة ألف وتسعمائة وتسع وكانت وفاته - في الكويت - في الرابع والعشرين من أبريل سنة ألف وتسعمائة وسبع وسبعين ، عن رحلة شعرية طويلة وحافلة ، أصدر خلالها عددًا كبيرًا من الدواوين الشعرية تأكدت بها منزلته كشاعر أصيل له لغته الشعرية المتفردة وأسلوبه في التصوير والتعبير ، وتجاربه الوجدانية والكونية المميزة ، من بينها أغاني الكوخ - هكذا أغنى - أين المفر - نار وأصفاد - قاب قوسين - لابد - صلاة ورفض - نهر الحقيقة - هدير البرزخ - صوت من الله » وهذه القصيدة من ديوانه موسيقى من السر الذي صدر في الذكرى الأولى لرحيله .

يقول الشاعر محمود حسن إسماعيل :
 وهناك عند الفجر في إشراقة كلظى الهجير
 وعلى خطى قمرية الإيماض ،
 يسفح نورها كذب الصخور
 روض رحيب ، أجهشت فيه الزهور
 وتكلمت بعطوره لغة الطيور
 وتأوّهت ريح مجنحة المسير ، على مخاصره تدور
 وترنمت ورقاء صالية الشعور
 معشوقتي وعشيقة النغم المصفد في الوكور
 وذبيحتي ، وأنا الذبيح ، وجازر الرؤيا أسير
 متلفح تحت العروق ، بمهده الثمل الوثير
 في كفه نهر الحياة ، لهيبه قلق مرير
 وعلى شواطئه هتاف لج في ندم غرير
 وضراعة بلهاء تصرخ وهي هالعة النفير
 وخطيئة تلد الحياة ، ومهدّها يلد الدثور
 وصدي يغرد نائحا ، ويدمعه يلغو السرور
 وغمامة عرجاء دوّخها المسير
 أنا تسير وأنا تبكي المصير
 والأفق مصلوب كسير
 شخنته أوهام العصور
 ومسابح النساك وهي على مزالقها تدور
 الكف مؤمنة ، وظل الكف مشنقة الضمير

وتمائمْ المتبتلين كأنها حرجُ الغواية في الصدور
مسكينة الأصداء تُلْعَقُ في المداهنِ والبخورِ
وتتَنَّنُ في حباتها الدعواتُ ،
جائعة الهدى لزجاج كوبٍ أو حصيرٍ
متلمّظاتٍ للورودِ ،
على هواجٍ أخجلتُ خشبَ النُّذورِ
يتلقَّفُ الأزوادَ ، من عبق تناسمٍ بالشُّرورِ
والنورِ ، من حلك تناعمٍ في الجذورِ
والطُّهرِ ، من شطحاتٍ أوهامٍ وزورِ
وتعانقُ القُدسَ المنيعَ ، كأنما سكن السُّتورِ
بفهيقٍ راغية محبرة على زبد الثغورِ
ونقيقٍ غاوية مبعثرة على خبلٍ حسيرِ
متخالجٍ اللّمحات .. أعمى دُسٌّ في ألقٍ ضريعِ
طحنته سُنبلُهُ السيادة بالقشورِ
والرزقِ ، والعوزِ المخدر بالسكينة والحبورِ
ولواه جلابُ المطايا للغرورِ
ومضفر الأصلابِ أعتاباً مطهمة الظهورِ
أقواسُها تتدُّ السهامَ ، وتُنشِبُ العشبَ الحقيقِ
وتحيلُ هشَّ الوارفينَ ، مشاتلاً لرُبى القصورِ
وعلى خضوع الهائمين بكفّها تعلّى الجسورِ
وتدورُ تطحنُ في غيابتها ، فتطحنُ أو تدورُ !
سبحان وهّاب الظلام لمن يريدُ بصيص نورِ

سحبوا من الأكفانِ قُدرتَه ، ولجّوا في الثبور
وتأوّدوا خبيّا ، وتتهتّه ، وليّا للصدور
في حومة لا للسماء ، ولا التراب
لدفّها نسبّ يُشير
زعموا لقاء الله وحدهم ، وجلّ
فنورُه غمر الدهور

في الحب ، في الأمل المحلّق ، في الأجنّة ، في البذور
في الريح ، في النسيم المرنح ، في العشايا والبكور
في الطيف ، تلمحه ظلالُ ظلاله فوق الغدير
في السّفح ، في ضجر المغاور ، في البرازخ ، في البحور
في كلّ راقىء دمعَةٍ من جفن مظلوم فقير
في كلّ كاسر حلقة ، من قيد مهجورٍ أُسير
في كلّ رافض لُقمة ، لليل ، جالبها أُسير
في كلّ واهب روحه غوثُ التراب المستجير
في كلّ ذاتٍ حركتْ عدمَ الفراغِ إلى الصّريز
في خُطوةِ القَدَمِ الذي هتك البراقعَ عن دجى
القمر المنير

وحدا السّديم ، وشق بين يديه أسرار الأثير
ومشى على الأجيال ، يسحقُ جهلَ عالمها الضّير
ويزيحُ ستر الغفل عن إعجاز خالقه القدير
الدّرْبُ ضوءاً للسّراة
حقيقةً ، وحصادَ نور

وهوى الدُّجى،
وتمزقت حجبُ الرياء على الحضور
فإنَّه يُصحبُ كُلُّ من صحبَ النهارَ ...
ومال عن غبشِ الستور

على باب الرجاء

شعر: طاهر أبو فاشا

« في طليعة الأصوات الشعرية المعاصرة ، ذاعت له شهرة من خلال كتابته الطويلة للبرنامج الإذاعي الشهير « ألف ليلة وليلة » والأوبريت الإذاعي « رابعة العدوية » التي سكب فيها عصارة شعره في الحب الإلهي الذي ضمّنه ديوانه « راهب الليل » .

وقد أصدر الشاعر ، قبل وفاته ، مصنفه « ألف يوم ويوم » بعد أن أصدر دراسته الأدبية « الذين أدركتهم حرفة الأدب » عن الشعراء والأدباء الذين شقوا بحظوظهم في الحياة ، بالإضافة إلى ديوانيه الأخيرين : « الليالي » و « دموع لا تجف » .

يقول طاهر أبو فاشا :

غريبٌ على باب الرجاء طريحُ
يناديك موصول الجوى وينوحُ
يهون عذابُ الجسم والروح سالم
فكيف وروح المستهام جروحُ
وليس الذى يشكو الصبابة عاشقاً
وما كلُّ باكٍ فى الغرام قريحُ
يقولون لى غنى^(١) وبالقلب لوعةً
أغنى بها فى خلوتى وأنوحُ
ولى فى طريق الشوق والليل هائمُ
معالم تخفى تارةً وتلوحُ
ولى فى مقام الوجد حالٌ ولوعةً
ودمع أدارى فى الهوى ويروحُ
وأنت وجودى فى شهودى وغيبتى
وسرك نور النور أو هو روحُ
وما دخلتُ إلا إليك مواجدى
وداعى الهوى بالوالهين يصيحُ
بسرّ الهوى يغدو وفيه يروحُ
غريبٌ على باب الرجاء طريحُ

* * *

(١) الحديث على لسان رابعة العدوية فى الأوبريت الإذاعية التى تحمل اسمها .

حانةُ الأقدار عرِبت فيها ليلاليها ودار النور
والهوى صاحي
هذه الأنهار كيف تسقيها وساقِيها بها مخمور
كيف يا صاح

سألتُ عن الحبِّ أهلَ الهوى
سُقاةَ الدموعِ نداميَ الجوى
فقالوا حنانك من شجْوهِ
ومن جِدِّه بك أو لهوهِ
ومن كدرِ الليل أو صفوهِ
سلى الطيرَ إن شئتَ عن شِدْوهِ
ففى شِدْوهِ همساتُ الهوى
وبـروحِ الحنينِ وشرُّحِ الجوى

* * *

ورحلتُ إلى الطيرِ ، اشكو الجوى
وأسألهُ سرَّ ذاكِ الجوى
فقالَ حنانك من جُمْرِهِ
ومن صحوِّ ساقِيهِ أو سُكْرِهِ
ومن نهْيهِ قِيك أو أَمْرِهِ
سلى الليلَ إن شئتَ عن سرِّهِ
ففى الليلِ يبعثُ أهلُ الهوى

* * *

ولما طسوانسى السُّجسى والجوى
لقيتُ الهوى وعرفتُ الهوى
ففى حانسة اللبس خماره
وتحت خيام السُّجسى ناره
وفى كسل شسىء يلسوخ الهوى
ولكن لمن ذاق طعم الهوى

* * *

يا صُحبة الرَّاح : أهلُ الرّاح هل حانوا
وهل تغنّت على ألحانها الحانُ
صببا النَّدامى وما فى الحانِ ألحانُ
فى كأسِ عُمري بقايا ، من يُشاربنى
ومن يُطارحنى والعيشُ رِيحانُ
ثمالةٌ من دمسوع الشَّجْوِ ألوانُ
إبريقها راح يبكى وهو فرحانُ
ثمالةٌ ، آه لو فاضت ، وآه إذا
غاضت ، وواها لها ، والقلبُ لهفانُ
عهدى بها وكؤوسُ الصَّفْوِ مُترعةٌ
بهنَّ طاف على السَّكرى سُكرانُ
لا يشربُ السَّراح ، إلا أنسه ثميلُ
نشوانُ والكأسُ فى كَفْيهِ نشوانُ
تُرى تعود الليالى والهوى معنا

يا غُرْبَةَ الكَأْسِ ، ما للكأسِ نُدْمَانُ

* * *

عرفتُ الهوى ، مَذُ عرفتُ هواكا
وأغلقْتُ قلبِي عمَّن سواكا
وقمتُ أناجيكَ ، يا مَنْ ترى
خفايا القلوبِ ولَسْنَا نراكا
(أحبك حُبَّين : حُسْبُ الهوى
وحُبًّا لأنك أَهْلٌ لذاكا)^(١)
(فأما الذى هو حُبُّ الهوى
فشغلى بذكرك عمَّن سواكا)
(وأما الذى أنت أَهْلٌ له
فكشفكَ لى الحُجُبِ حتى أراكا)
(فلا الحمْدُ فى ذا ولا ذاك لى
ولكن لك الحمْدُ فى ذا وذاكا)
وأشتاقُ شوقين : شوقَ النوى
وشوقًا لقربِ الخطي من حماكا
فأما الذى هو شوقُ النوى
فَمَسرى الدموعِ لطولِ نواكا
وأما اشتياقى بقربِ الحمى
فَنارُ حياةٍ خَبْتُ فى ضياكا

(١) الأبيات الأربعة التى بين الأقواس من شعر رابعة العدوية .

ولستُ على الشَّجْوِ أشكو الهوى
رضيتُ بما شئتُ لى فى هواكا

* * *

لغيرك ما مددتُ يدا	وغيرك لا يفيضُ ندى
وليس يضيقُ بابُك بى	فكيف تردُّ من قصدِ
وركُك لم يزلُ صمدا	فكيف تذودُّ من وردِ
ولطفك يا خفى اللطفِ	إن عادى الزمانِ عدا

* * *

على قلبى وضعتُ يدا	ونحوك قد مددتُ يدا
سرى ليلى بغير هدى	ولا أدرى لأى مدى
يطاردنى الأسى أبدا	ويرعانى الجوى أبدا
وينشرنى الهوى رُوحا	ويطوينى الهوى جسدا
وأطوى البيدَ طاوية	كأنى فى الفضاءِ صدى
نهارى والهجيرُ لظى	وليلى والظلامُ ردى
فواكبدا إذا أضحى	وإن أمسى فواكبدا
وليس سواك لى سندٌ	فقدتُ الأهلَ والسندا

* * *

على عينى بكتُ عينى	على روحى جنتُ رُوحى
هواك وبُعْدُ ما بينى	وبينك ، سرُّ تبريحي
صحا من شجوه كآسى	وقد نامَ الخليونا

فكيف أفرُّ من نفسي إذا هام المحبونا
حيائي منك يبعدني وداعى الشوق يُدنيني
ووجهه الصفيح يُخجلني ويقتلني ويحييني
خلوت إليك ياربى وقلت عساك تقبلنى

مددت يدي
إليك ومنك يا ربّاه
ومن طول النوى أواه



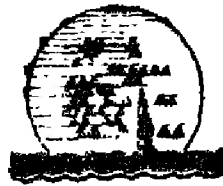
General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

الفهرس

٧ هذا الكتاب
١١ الرحلة في بحار العشق
٧٣ تعاظمنى ذنبى [للإمام الشافعى]
٧٧ هوانا حجازى [لأبى حمزة الخراسانى]
٨٣ غريب الدار [للبرعى]
٩١ نار ليل [للشهرزورى]
٩٥ ته دلالاً [لابن الفارض]
١٠٣ مريضة الأجفان [لابن عربى]
١٠٩ ربة السّتر [للإمام الصرصرى]
١١٥ وارحمتا للعاشقين [للسهروردى]
١٢١ إلهى يا سميع [لأحمد البدوى]
١٢٧ سقانى محبوبى [لإبراهيم الدسوقى]
١٣١ فطرة النفس [لأبى العباس المرسى]
١٣٧ ظهرت لكل الكون [لابن عطاء الله السكندرى]
١٤٣ سُكر المحبّة [لابن أرقم النميرى الأندلسى]
١٤٧ الملجأ الأحمى [لابن الجيّاب الأندلسى]
١٥٣ سلمى [لليافعى]
١٩٥	

١٥٩ [لمصطفى البكرى]
١٦٧ [لأحمد الحلوانى]
١٧٣ [للشيخ على عقل]
١٨١ [للشاعر محمود حسن إسماعيل]
١٨٧ [شعر : طاهر أبو فاشا]

رقم الإيداع: ٢٣٩٨ / ١٩٩١
الترقيم الدولى: ٦-٠٠٥١-٠٩-٩٧٧



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
المنظمة العامة لمكتبة الإسكندرية

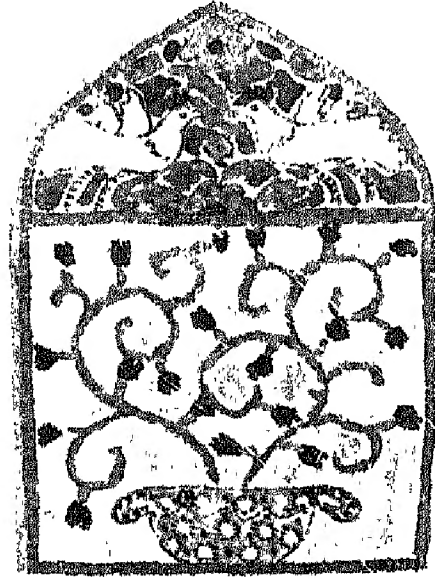
مطابع الشروق

القاهرة: ١٦ شارع جواد حنى - هاتف: ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٣٤٨١٤
بيروت: ص ب: ٨٠٦٤ - هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣

والخشية والتوبة ، وتعمر القلوب
بوشائج المحبة الدائمة ، ومقامات
العشق وأحواله ، وينسكب هذا كله
في النهاية شعراً يفيض بالصدق
ويعمر باليقين والمحبة والإيمان .

والأمل معقود أن تلقى هذه
المختارات من شعر الحب الإلهي ما
لقيته سابقتها لدى القراء من ذبوع
وانتشار ، وأن يستجيب شعراؤنا
ودارسونا للدعوة التي حملتها
المختارات السابقة : أن يسهموا
ويشاركوا في هذا الميدان ، كل على
حسب طاقته واستطاعته
واهتماماته ، فتعدد مجالات الاختيار ،
من خلال أذواق عدة ، من شأنه أن
يؤدي في النهاية إلى تكوّن الذوق
الصحيح المدرب الذي يجيد الانتقاء
والرؤية النافذة ، وينجح في تقديم
قراءة عصرية جديدة لكل ما يحمله
التراث من كنوز ، بعد أن ينفذ عنها
غبار الإهمال والنسيان ، ويعيد إليها
ماء الجدّة والحياة .

فإذا ما نجحت هذه المختارات في
تقريب المسافة بين القارئ المعاصر
وتراث أمته الشعري — قديمه
وحديثه — وفتحت باباً ولويسبيراً
لتذوق عصري ، ترفده حساسية
جديدة ، ووعي جديد ، فإنها تكون قد
شارفت الغاية ، وأشارت إلى الطريق .



سلسلة الحب الإلهي

إذا كانت الحلقة الأولى في هذه
السلسلة قد توقفت عند تجربة الحب
في الشعر العربي ، وحملت عنوان
«أحلى عشرين قصيدة حب» في هذا
الشعر، فإن هذه الحلقة الثانية تتقدم
إلى ساحة أسمى من ساحات هذا
الحب هي ساحة الحب الإلهي ، حيث
فاضت وجدانات العشاق الكبار من
الشعراء بأنغام وترانيم وألحان
تظهروا بها ، وحلقوا من خلالها ،
دُنُوا واستشرفاً من الأفق الأعلى
والأسمى ، حيث ينابيع الروحانية،
والفيض الغامر ، وحيث تمتلئ
النفوس بأقباس من النورانية
وتفيض العيون بدموع الندم

© دار الشروق —

القاهرة ١٦ شارع حواد حسي - هاتف ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٣٤٨١٤
بيروت مر ب ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣